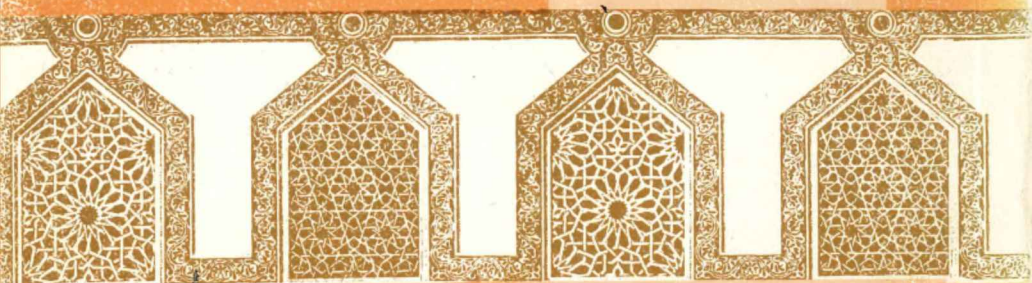


لِحِثِّ الْأَمْنِ
٤



لِلدِّينِ
سُفْيَانُ الثَّوْرِيِّ

رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ

حَيَاتُهُ الْعِلْمِيَّةُ وَالْعَمَلِيَّةُ

الدكتور محمد أبو الفتح البليانوف

دار السَّيْلَى

للطباعة والنشر والتوزيع

لِحُجَّتِ الْأُمَمَانَا

٤

لِلدِّينِ

سَفِيَانِ الثَّوْرِي

رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ

حَيَّاهُ الْعِلْمِيَّةُ وَالْعَمَلِيَّةُ

لم يبق من تجتمع عليه الأمة
بالرضا إلا سفيان

﴿الأوزاعي﴾

بِقَتْلِهِ

الدكتور محمد أبو الفتح البسانوني

حقوق الطبع والنشر محفوظة

الطبعة الأولى ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م

الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م

الطبعة الثالثة ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م

الناشر

دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مَجْمَعُ طُرُقِ الرِّسَالَةِ

تتضمن الرسالة على مقدمة ، وتمهيد ، وثلاثة أبواب ، وخاتمة .

- المقدمة .
- التمهيد ، وتعرضت فيه إلى نقطتين :
- ١ - ضرورة نشر سيرة السلف .
- ٢ - سبب اختياري لسفيان الثوري رحمه الله تعالى .
- الباب الأول : في تاريخ حياته ، ويقع في ثلاثة فصول .
- الثاني : في حياته العلمية ، ويقع في أربعة فصول .
- الثالث : في حياته العملية ، ويقع في فصلين .
- خاتمة البحث .
- مراجع البحث .
- المحتوى .

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، أقام الحجة على عباده فأرسل الأنبياء مبشرين ومنذرين ، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ... والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي أرسله الله رحمة للعالمين ، وجعله أسوة للمؤمنين ، ورضي الله عن الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين والعلماء العاملين الذين أحكوا القدوة بالرسول الكريم فكانوا بذلك من المهتدين ...

أما بعد :

فلا أزال أذكر كلمة لوالدي الكريم - حفظه الله - سمعتها منه في صفري ، وطالما رددتها في معرض التحدث بنعمة الله عز وجل عليه ... ألا وهي : حمده الله عز وجل على أن وقفه فعرف هذا الدين من الكتب ومن سيرة السلف الصالح قبل أن يعرفه من سيرة كثير ممن حوله من الناس ...

كنت أسمع هذه الكلمات وأشبابها من والذي الكريم
دون أن أفهم لها معنى واضحاً ، وسبباً ييناً ، حتى إذا ما نشأت
بين الناس ، وتوسعت مخالطتي للخاصة والعامة منهم ، عرفت
سر ذلك القول ، وحقيقة تلك النعمة التي تحدث بها والذي
واعتبرها من أكبر نعم الله عز وجل عليه .

ولولا أنني عشت في كنفه ، ونشأت في رعايته ،
وعاينت سلوكه وطريقته ، وعرفت عدداً من العلماء العاملين
أمثاله ، لقلت أيضاً مثل هذا القول، وشعرت بذلك الشعور...

فكم شوه كثير من المسلمين اليوم بسلوكهم وتصرفاتهم
من صورة الاسلام الناصعة الصافية !!!

إنك إذا ما بحثت عنها في صفوف كثير من العلماء
على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم فقلما تجدوها عندم صحيحة
كاملة ، أو صافية نقية ، وإنما تراها جساماً بلا روح ، أو
روحاً ضعيفة تشوبها الشوائب ...

وإذا ما اقتشت عنها في صفوف كثير من الدعاة والعاملين
للإسلام وجدها فكرة نظرية أكثر منها حركة وسلوكاً ،
لا تتجاوز القول ، ولا تؤثر في السلوك ...

لهذا كله بقيت صورة الاسلام في نفوس كثير من

أبنائه بعيدة غامضة ، أو مشوهة ناقصة ...

فأين هو ذلك الإسلام الذي علمه هؤلاء في زعمهم وفهموه ؟ وأين هو ذلك الإسلام الذي انتسب له ودعا إليه أولئك !!

فإذا ما أراد الباحث أن يتعرف الإسلام الكامل المنشود ، فليس أمامه سبيل إلا صفحات الكتب التي جلت صورته ، وأظهرت حقيقته ، وسجلت سيرة أتباعه الصادقين...

وقليل اليوم أولئك الذين تسعدهم الأوقات بدراسة القرآن الكريم والاستبصار بسيرة الرسول العظيم، والاستئناس بسيرة السلف الصالح ليحصلوا على الإسلام كاملاً تقياً، وإنما يأخذ معظم الناس دينهم وسلوكهم عن حوّلهم من الناس ، فيرثونه ناقصاً مشوهاً ، ويورثونه لمن بعدهم كذلك ...

ولولا وعد الله عز وجل بإتمام نوره ولو كره الكافرون ، وبحفظ دينه منها تأمر عليه البطولون ، لذهب هذا الإسلام بعيداً ، وغاب نوره عن أعين الناس بما ضرب دونه من حجب الجهل والظلام ، وما حيكت حوله من مؤامرات ...

وتحقيقاً لهذا الوعد الصادق « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون (١) » ، هيا الله لهذه الأمة الاسلامية طائفة قائمة على الحق مجاهدة في سبيله - مها قل عددها - تتمثل الاسلام عقيدة وسلوكاً ، لتكون الحجّة الناطقة لله على خلقه يهتدي بها المؤمنون ، ويستنير بسلوكها السالكون ، لا يضرها من خالفها حتى يأتي أمر الله ...

فلا يكاد يخلو بلد من بلدان المسلمين من أفراد تلك الطائفة المنصورة التي تتحلّى بالاسلام كاملاً ، وتحرص على منهجه في الحياة ، ولا تتنازل عن شيء من كماله وهديه ، سواء في ذلك الرجال أو النساء الذين أنعم الله عليهم بهذه النعمة فاخترهم جنوداً لدينه ، مما تذهل له عقول الأعداء الكائدين لهذا الدين ، فلا يعرفون لهذه الظاهرة تفسيراً ، ولكنه وعد الله ولن يخلف الله وعده ...

من هنا كان أثر العاملين الصادقين بهذا الاسلام كبيراً ، وفضلهم على الناس عظيماً ، إذ أعادوا الثقة إلى النفوس بهذا الاسلام ، وأقاموا الحجّة العملية على صلاحيته للتطبيق في كل زمان ومكان ، فألجأوا بذلك الأعداء لهذا

(١) الآية ٩/ من سورة الحجر .

الاسلام الذين اتخذوا من واقع المسلمين النبيء حجة لهم
للاطن بهذا الاسلام ، والتشكيك في صلاحيته للتطبيق ...

وليست سيرة السلف الصالح إلا غاذج صادقة لتلك
الطائفة التي سبقت في الطريق إلى الله ، واتخذت سيرة
الرسول ﷺ أسوة ومنهاجاً فكانت في الخالدين .

فاذا ما افتقرت أمتنا اليوم إلى التهاج الصحيحة
للشخصية المسلمة الكاملة ، فما عليها إلا أن تجد المنبع المعين
الصافي في سيرة أسلافها الصالحين الذين يصدق فيهم قول الله
عز وجل : « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله
عليه ، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا
تبديلاً » (١) .

ومن هذا الدافع نشأت من صفري محباً لسيرة السلف
ومكثرأ من القراءة حولها والاستماع اليها ، حتى كانت
رسالتي هذه عن سفیان الثوري - رضي الله تعالى عنه -
موضوع رسالتي الجامعية المقدمة لكلية الشريعة بدمشق وذلك
في عام / ١٣٨٣ / هـ الموافق / ١٩٦٣ / م وبإشراف فضيلة
الأستاذ الجليل الدكتور الشيخ محمد فوزي فيض الله - جزاه

(١) الآية / ٢٣ / من سورة الأحزاب .

الله خيراً - إلا أن شواغل الدراسة والتدريس جعلتني
أتأخر في إخراجها إلى القراء الكرام .

واليوم وقد وجدت في الوقت فسحة ، وشمرت
بالحاجة ملحة استعنت الله عز وجل على إخراجها وأعانتني
على ذلك أخي الكريم السيد محمد مطيع أبو المجد صاحب
مكتبة الهدى بحلب - جزاه الله خيراً - فأسأل الله عز وجل
أن يجعلها باكورة عمل مبارك ، يجد فيها القراء صفحة
ناصعة مشرقة من صفحات سلفنا الصالح رحمهم الله ، وأن
يلهمنا جميعاً السداد والرشاد في القول والعمل ... والحمد
لله رب العالمين .

كتبها

محمد عبدالله أبو الفتح البيانوني

حلب - الجيلة

التمهيد

ويشمل الحديث عن أمرين :

- ١ - ضرورة نشر سيرة السلف .
- ٢ - سبب اختياري سفيان الثوري .
- . . .

١ - ضرورة نشر سيرة السلف :

تجلى لنا ضرورة نشر سيرة السلف الصالح في ناحيتين أساسيتين : ناحية عملية ، وناحية علمية .

أما الناحية العملية :

فلقد أشرت في المقدمة العامة عن حاجة الأمة المسلمة اليوم لسيرة سلفها ونشرها وتسليط الأضواء عليها ، وقد أجمع العلماء على عظم الأثر الصالح الذي تتركه في نفوس النشء دراسة تاريخ الآباء والأجداد ... فكيف بهم إذا

كانوا أمثال أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله تعالى عنهم في الصحابة ، وأمثال سعيد بن السبب وعمر بن عبدالعزيز والحسن البصري وأبي حنيفة وسفيان الثوري ، ومالك والشافعي وأحمد رحمهم الله فيمن بعد الصحابة ... فإن في صفحات هؤلاء وأمثالهم قبسات من نور تهدي في الظلام ، ومعالم واضحة ترشد في التاهات كسبوها من اقتدائهم بالرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه .

وأما الناحية العلمية :

فهناك باعث آخر يدعونا إلى نشر آرائه العلمية ، وبنات أفكاره ، وما أنتجته قرائحهم من استنباط معاني القرآن الكريم والسنة المشرقة خدمة للإسلام والمسلمين ...

والعراق - منشأ سفيان - الذي بقي حوالي خمسة قرون عاصمة للإسلام ومعقلاً له ، تخرج فيه من الأئمة الأعلام مالا يحصي عددهم ديوان جامع ، ولا تسع علومهم مئات المجلدات ...

ففي العراق ظهر إبراهيم النخعي وعلقمة وحماد ، وأبو حنيفة وأصحابه ، وابن أبي ليلى ، وسفيان الثوري

وابن المبارك وأحمد وابن معين وغيرهم كثير ... وحسبك تاريخ بغداد دليلاً على كثرتهم ومعرفة علو منزلتهم ...

وفيما سوى العراق ، وعدا مذاهب الأئمة الأربعة مذاهب مهجورة لعلماء أجلاء ، كمذهب الليث بن سعد - فقيه مصر وإمامها - والأوزاعي - إمام أهل الشام مدة قرنين - وابن جرير الطبري - شيخ المؤرخين والمفسرين - وغير هؤلاء كثير ، لاسيما إذا عددنا معهم أئمة الحديث كالبخاري ومسلم وغيرها رحمهم الله جميعاً .

وإن أئمة أمثال هؤلاء لجديرون باحياء آثارهم الدفينة وإبراز آرائهم القيمة ، وإذا كان هؤلاء بهذه الكثرة فمن المقوق التفاضي عن نشر شذى سيرتهم وبث عيبرها وإشعاع نورها ...

وإذا كانت الأئمة الحديثة تحيي ذكرى عظمتها بطرق مادية بعضها محرم كنصب التماثيل والأصنام ، فلم لانحياي ذكرى هؤلاء الأئمة الأعلام بما يخلد ذكرهم ، وينفع أمتهم !!..

فالإ أصحاب الأقلام المؤمنة ، والأفكار النيرة ،

والداعوات المخلصة ، الدعوة الملحة بأن يمدوا أيديهم إلى
 بطون الكتب فيعرضوا لنا صفحات أمتنا المشرقة ورجالنا
 العظماء ، وينقبوا عن الكنوز الدفينة ، والعيون المكتومة
 ليحيوا بها جيلنا الجديد المتردد الحائر فيرى طريقه ويسدد
 خطاه ...

• • •

٢ - سبب اختياري سفيان الثوري رحمه الله :

بدافع من الحاجة الماسة لنشر سيرة السلف التي فوّهت عنها سابقاً ، فكرت وأنا أبحث عن موضوع للرسالة الجامعية عمن أكتب ، وسيرة من أفتح ؟

فقال بخاطري الخلفاء الراشدون ، والعلماء العاملون من الأئمة الأربعة وغيرهم ... ولكن وفرة ما كتب عنهم وشهرة سيرتهم جعلتني أعذل عنهم رغبة في نشر من طويت سيرتهم وهم على مستوى عال من الكمال ، وما أكثر هؤلاء في أسلافنا !!!

فقلبت كتب الرجال وطبقاتهم أتقل من عالم إلى عالم ، فسلقت بذهني أسماء كنت أراها في كل مضمار وتواجهني في أغلب الفنون ... وكان من أبرز هذه الأسماء اسم « سفيان الثوري » .

أفتح كتب الحديث : فأرى سفيان الثوري ، وما أكثر روايته والرواية عنه !!

وأظفر في ترجمته : فأرى أئمة الحديث يطلقون عليه ألقاباً نادرة : كقولهم : سفيان أمير المؤمنين في الحديث

أو سفيان محدث العرب ، فيعظم في عيني أمره .

والمح بين أبواب الفقه أقوالاً عديدة لسفيان لا تقل منزلة عن أقوال الأئمة الأربعة وغيرهم ، وإذا به صاحب مذهب فقهي خاص له مقلدوه حتى أوائل القرن الخامس في المشرق ، وما بعده في المغرب ، وكانوا يعرفون (بالسفيانيين).

فقد جاء في ترجمة أبي بكر الدينوري في كتاب النجوم الزاهرة^(١) مانصه : « وفيها أي سنة / ٤٠٥ هـ / توفي عبد الغفار بن عبد الرحمن أبو بكر الدينوري ، لم يكن ينفذ مفت على مذهب سفيان الثوري غيره ، وهو آخر من أفتى بجامع المنصور على مذهب الثوري ، قلت : أي ابن تفرج بردى - لعل ذلك كان بالشرق ، وأما بالمغرب : فدام مذهب الثوري بعد هذا التاريخ عدة سنين » .

وقد نعته عدد من العلماء بأنه « فقيه العرب »^(٢).

(١) أنظر النجوم الزاهرة (ج ٤ / ٢٣٨) . وشذرات الذهب

(ج ١ / ٢٥٠ و ٢٥١) .

(٢) أنظر مقدمة الجرح والتعديل لابن أبي حاتم .

وهكذا التقيت مع سفيان الثوري في كتب التفسير
التي تكثر النقل عن السلف ، وإذا به صاحب تفسير خاص
سأحدث عنه في الحديث عن علومه .

فشاهدت سفيان هنا وهناك ، وفي كل ميدان وفي
كل مجال ،... ولا أنسى أن أذكر شهرته في التصوف ، فإذا
ما قابلت كتب الطبقات ، وجدته في أولى طبقاتها ، وعلماً من
أعلامها وإماماً يقتدي به غيره في الأخلاق والآداب ... فلما
سئل الفضيل بن عياض رحمه الله عن ورعه ، أخبر أن
قدوته في ذلك سفيان .

وما أجمل قول ابن المبارك فيما رواه أبو نعيم بسنده
عنه أنه قال :

« تعجني مجالس سفيان الثوري ، كنت إذا شئت
رأيت في الورع ، وإذا شئت رأيت مصلياً ، وإذا شئت
رأيت غائصاً في الفقه ... » (١) .

فلم يكن أمامي بعد ذلك إلا سفيان الذي عشت
معه أكثر من سنتين ألتقي بآرائه المتفرقة في كتب الفقه

(١) الحلية (ج ٢٥٨/٦) .

والأدلة ، ويبروزه الحديثي في كتب الحديث والرجال ،
 وبتصوفه السليم النقي في كتب الطبقات ، وكنت كلما اطلعت
 على جانب من جوانبه ، وعثرت على منقبة من مناقبه ،
 زادني ذلك تمسكاً به ، ونشاطاً في البحث عنه ، وخاصة
 حين علمت أنه ليس لسفيان الثوري ترجمة مفردة مطبوعة
 أو مخطوطة ، سوى ما أشارت إليه بعض المراجع بأن
 الامام ابن الحوزي كتب كتاباً في مناقبه لم أعثر عليه ولا
 على مكانه فيما حولي من مكاتب ، وذكر الذهبي في «تذكرته»
 أنه اختصر هذا الكتاب . وهناك لابن ملول تأليف في
 زهده (١) .

ولم أجد إلا تراجم مطولة ومختصرة في كتب الرجال
 عن هذا الرجل العظيم ، وأوسع ترجمة له رأيتها في مقدمة
 الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ، وفي الحلية لأبي نعيم (٢) .

(١) انظر كتاب الفكر السامي (ج ٢ / ١٤٦) لمحمد الحجوي
 المطبوع بفاس عام ١٣٤٥ هـ .

(٢) ولعل أدق ترجمة لسفيان وقفت عليها أثناء تهيئة هذا الكتاب
 للطبع للأستاذ امتياز علي عرشي محقق كتاب (تفسير القرآن
 الكريم للثوري) الذي تحدثت عنه في كلامي عن (علم التفسير
 عند الثوري) وذلك في الفصل الثاني من الباب الثاني .

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا المقام : أنني اطلمت وأنا أهيم كتابي هذا للطباعة على رسالة بعنوان « سفیان الثوري أمير المؤمنين في الحديث » مؤلفها الدكتور عبد الحليم محمود ، طبعت في الكويت عام ١٣٩٠ هـ ، فاشتريته من إحدى مكتبات الرياض وطالته واستفدت منه - جزى الله الاستاذ المؤلف كل خير - .

ولكنني مع ذلك لم أزل مقتنماً بأنه لا ينبغي كتاب عن كتاب ، وأنه من الحسن أن تتوافر الجهود على إبراز شخصية كهذه ، لتكتمل جوانب البحث ، وهذا مادعاني أن أتابع موضوع طباعة هذا الكتاب ، والله من وراء القصد .

البَابُ الْأَوَّلُ

وهو في تاريخ حياته ، ويقع في ثلاثة فصول :

١ - الفصل الأول : عصره السياسي والاجتماعي والعلمي .

٢ - الفصل الثاني : نشأته وتشمل ولادته ، وأسرته ، وأقاربه ، وعقيدته ، وتنقلاته .

٣ - الفصل الثالث : وفاته ، وحزن الناس عليه ، ورؤياهم له بعد موته .



الفصل الأول

عصره السياسي والاجتماعي والعلمي

١ - عصره السياسي (١) :

في السنة التي ولد فيها سفيان الثوري وهي سنة ٩٦ هـ تولى الخلافة سليمان بن عبد الملك الأموي بعد الوليد ابن عبد الملك ، ولم تدم خلافته كثيراً ، فبعد أن قضى فيها سنتين وأشهرأ توفي سنة ٩٩ هـ .

وتولى بعد ذلك - عمر بن عبد العزيز - رضي الله عنه الذي أصلح من الأمور ما أصلح وأعاد سيرة الخلفاء الراشدين وتوفي سنة ١٠١ هـ بعد أن دامت خلافته سنتين.

وخلفه بعد ذلك - يزيد بن عبد الملك - الذي تواصلت في عهده الثورات ضد الأمويين وأعلن - شوذب -

(١) المرجع في عصر سفيان فيما لا أشير إليه من قبل ، هو كتابا: تاريخ الاسلام السياسي ، ورسالة فاكهة الأثم في تاريخ خلفاء العرب والاسلام .

الخارجي الحرب عليهم وهزمهم هذا في عدة معارك . وفي
عبد يزيد خرج عليهم يزيد بن المهلب بن أبي صفرة مع عدد
من إخوانه الذين قاسى الأمويون منهم ما قاسوا ...

وبعد أن قضى يزيد في الخلافة أربع سنوات توفي
عام ١٠٥ هـ وتولي بعده الخلافة - هشام بن عبد الملك -
الذي دامت خلافته عشرين سنة تقريباً والذي عمل على
إخماد الثورات القائمة .

وبعد وفاة - هشام - سنة ١٢٥ هـ ، تولى - الوليد
ابن يزيد بن عبد الملك - ولم تدم خلافته سوى سنة وشهرين
وأبلى حتى قتل .

وخلفه سنة ١٢٦ هـ - يزيد بن الوليد - مدة خمسة
أشهر فقط ، ثم تولى - إبراهيم بن الوليد - الذي دامت
خلافته سبعين يوماً ، ثم خلع .

وفي سنة ١٢٧ هـ تولى - مروان بن محمد - آخر
الخلفاء الأمويين ، وكان هذا شديداً ضد أعدائه ، وثار
الفتن وتزايدت في عهده ، ونشطت الشيعة وبدأ سقوط
الدولة الأموية إلى أن انتقلت بعده إلى العباسيين عام ١٣٢ هـ .
فتسلم الأمر أولهم - أبو العباس السفاح عبد الله -

ودام في خلافته أربع سنين وتسعة أشهر حتى مات .

وتولي بعده - أبو جعفر المنصور - سنة ١٣٦ هـ ،
ودامت خلافته اثنتين وعشرين سنة ، حيث توطدت دعائم
الخلافة العباسية واستقرت ، وفي عهد هذا ومن يليه تظهر
لنا حياة سفيان السياسية التي تواجه الحكام وتأمروهم وتنهائم
كما تظهر لنا في هذا العهد ملاحقة سفيان حتى وفاته ...

ثم تولى - المهدي - سنة ١٥٨ هـ ، وتوفي سفيان
الثوري بعد ثلاث سنوات مضت من خلافة المهدي مختفياً
منه سنة ١٦١ هـ رحمه الله تعالى . وبهذا ينتهي عصر سفيان
السياسي الذي بدأ في القسم الثاني من خلافة الأمويين الذي
كان عهد اضطراب وفتن وثورات ... وانتهى في القسم الأول
من خلافة العباسيين الذي كان عهد تأسيس وتوطيد لحكمهم .

٢ - عصره الاجتماعي :

ويتمثل هذا العصر بالحكام والشعب :

أما الحكام : فقد كانت لأغلب الأمويين المتأخرين
نظرة التعصب للعرب ، النظرة المتطرفة التي تنظر إلى الموالي
نظرة السيد للسود ، والتي ولدت روح القومية في النفوس ،

فانضم الموالي إلى صفوف أعدائهم ، وأعانوا الناقين عليهم ،
 هنالك الخلافة الأموية منهم أشد الولايات والثورات ...

ولم يكن المدل رائدهم جميعاً في الحكم ، بل انتشر
 الظلم ، وكثرت الضرائب وجبت الأموال ، وأغدق العطاء
 للأتباع والأعوان حتى وصل عند بعضهم إلى حد الإسراف.
 وجاء بعد ذلك عمر بن عبد العزيز فأصلح كثيراً من هذه
 الأمور وكان عهده عهد عدل ورحمة ورد للعظام .

فتذمر الصالحون من تصرفات أولئك الأفراد ،
 وجابههم في ذلك العلماء العاملون أمثال سفيان ، دون أن
 يخشوا في الله لومة لائم ، فأمرهم بالمعروف ونههم عن
 المنكر . وستمر معنا نماذج من هذه المواقف المشرفة لسفيان.

كما أخذ الخلفاء في عهد سفيان يتشبهون بالملوك ،
 ويتباهون بالأبنية والقصور ، ولبس أرفع الثياب ، وتنوع
 الطعام ...

ولولا شيوع مثل هذه الأمور لما برز لنا في التاريخ
 عهد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كالبدل في الليلة
 الظلماء .

أما الشعب :

فلا ننسى قبل كل شيء أنهم من القرون الخيرة التي شهد لها رسول الله ﷺ بالخيرية في قوله : « خير الناس قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » (١) ... ، إذ أن عصر سفيان هو آخر عهد التابعين ، وقد أدرك منهم من أدرك ، وأول عهد تابعيهم الذين شملهم الحديث الشريف .

ولا يعني هذا : خلو المجتمع يوم ذاك عن أفراد ساءت سيرتهم ، وانحرفوا عن سير سلفهم الصالح ، فكثيراً ما يحدثنا التاريخ عن أمثال هؤلاء في ذلك العهد ، كما يحدثنا عن الفئات الصالحة ، والعلماء العاملين أمثال سفيان ، الذين كان لهم مع الناس والحكام مواقف مشهورة ، ولا يكاد يخلو مجتمع من فساد ...

كما ينبغي أن لانفهم من ذلك أن هذا المجتمع كان مجتمعاً فاسداً منحلاً في الدين والخلق ، فإن الطبقة الصالحة في كل عصر تدرك جيلاً مضى وجيلاً نشأ ، فتقارن بينهما فترى البون شاسعاً فلا يسعها إلا التذمر من حال الناس ، والشكوى من إدارهم وانحذارهم ، نرى ذلك جلياً في قول (١) الحديث متفق عليه ، انظر فيض القدير للساوي (ج ٣/٤٩٧) .

الحسن البصري رحمه الله حيث يقول : « لقد أدركنا أناساً لو رأيتهم لقلتم عنهم مجانين - لزهدهم وصلاحهم وخوفهم - ولو رأوكم لقالوا : هؤلاء لا يؤمنون بالله واليوم الآخر - أي لغتورهم عن الطاعة وإقبالهم على الدنيا - » .

فقد كان الناس طبقتين : طبقة صالحة كل الصلاح ، لاتفارق العلم وحلقاته ، وهي كثرة غالبية في الأمة ، وهي التي ظهر منها سفیان ، وأمثال سفیان ، فكونوا حلقات العلم والوعظ في كل مكان ...

وطبقة أخرى منحرفة : همها الدنيا وشبهاتها ، باحثة عن رضا الحكام وعطائهم ، غير مبالية بالتمسك بالفضيلة والأخلاق ، ولكنها الفئة القليلة التي لا يخلو منها عصر من العصور ، ليظهر صلاح من صلح ، وفساد من فسد ...

٣ - وأما عصره العلمي :

فإن أكبر أثر في حياة سفیان الثوري هو عصره العلمي الذي نشأ فيه ، فقد كان عصره فاتحة لأزهي عصور العلم ، حيث تشعبت ميادين العلم وتنوعت ، وتوسعت العلوم بصورة عامة . وكان أيضاً عهد تضخم الفقه وتدوينه ،

وتدوين السيرة النبوية وأكثر العلوم الشرعية بصورة خاصة.

أما من حيث التفسير والحديث والفقه وسائر العلوم الشرعية ، فقد كان عهد تدوين وتأليف وكتابة وجمع واجتهاد ، ساعد على هذا النشاط العلمي انغزال كثير من العلماء العاملين إليه مبتعدين عن الفساد والظلم ، ففرغوا للعلم وحلقاته ، وعملوا فيه ليلهم ونهارهم ، فظهر النبوغ وكثر الانتاج ، وتكونت المذاهب الفقهية المتعددة ، وتنوعت المدارس العلمية ، كما نشط في ذلك العصر فقه الشيعة وغيرهم...

فقد كان هذا العهد عهداً علمياً ذهبياً توسعت فيه الآراء العلمية ، وتشعبت ميادينها ، مما ملأ مئات المجلدات الضخمة ، والموسوعات الكبرى ، وكانت خير ذخيرة تفتخر بها الأمة الإسلامية على مدى العصور ، وتحل بها مشاكلها ، وتدفع لها وتكبرها دول الغرب وعلماء القانون ...

ومن حيث العلوم العقلية والكونية ، فقد كان عصر انتشار الثقافة اليونانية بين المسلمين ، حتى كانت - حرّان - مركزاً هاماً لها ، فاشتغل الناس بالعلوم العقلية والنقلية معاً. وتوسعوا في كلا المضامين ، وذهبوا فيها كل مذهب ... ومن ناحية أخرى : نشطت حركة الترجمة إلى العربية ،

قترجت أكثر العلوم إليها ، وقد كان - خالد بن يزيد -
من العلماء الذين أسهموا في هذا المضمار كل الإسهام ، وكان
له السبق ، فاطاع العلماء على علوم أجنبية عنهم ، فدرسوها
وأتقنوها وزادوا عليها وأضافوا فيها ...

ولعل أكبر أثر في نشاط العلم هو اعتناء الخلفاء
والحكام به ، فكانت ترى الملوك والخلفاء علماء ، يعملون
فيه ويشجعون عليه ، ويكرمون أصحابه ...

فشجع الخلفاء الطب والكيمياء ، حتى إن الوليد بن
عبد الملك أول من بنى المستشفى العظيم في بلاد المسلمين ،
وفرغ له الأطباء ، وأعقد عليهم العطاء .

وكان - عمر بن عبد العزيز - يأمر بالعطاء للعلماء
المتفرغين للعلم من بيت المال ، ليساعدهم على تفرغهم ، فقد
كتب رسالة إلى والي حمص يقول له فيها :

« انظر إلى القوم الذين نصبوا أنفسهم للفقہ ، وحبسوها
في المساجد ، فأعط كل واحد منهم مائة دينار يستمينون بها
على مام عليه من بيت المال (١) ، » .

(١) انظر تاريخ الاسلام السياسي (ج ١ / ٥١١) .

وما هذا إلا لأن - عمر بن عبد العزيز - كان عالماً فقيهاً محدثاً وشاعراً : حتى قيل فيه : كانت العلماء مع عمر بن عبد العزيز تلامذة (١) .

وهكذا كان أغلب الملوك ، فكنت ترى الساجد دوراً للعلم وحلقاته ، ومجالس الخلفاء والحكام مجماً للعلماء يتدارسون ويتناظرون فيها ...

وليس أعظم وأنفع للعلم من أن تشجع الدولة على نهل موارده ، وتساعد على سلوك سبله ، والمضي في سبيله .. وما أعدنا إذا أطلقنا على عصر سفيان وما تلاه من عصور في ذلك القرن : - عصر العلم والعلماء - .

- - -

الفصل الثاني

نشأة سفيان : وتشمل :

- ولادته :

اختلفت كتب الرجال في بيان سنة ولادة سفيان الثوري ، فمنهم من يؤرخ ولادته سنة ٧٥ هـ أو ٧٧ هـ ، ومنهم من يؤرخها سنة ٩٥ أو ٩٦ هـ ، ومنهم من يؤرخها سنة ٩٧ هـ .

والذي عليه أكثر الأقوال والأخبار - فيما رأيت - هو أن ولاده سفيان كانت سنة ٩٦ هـ التي توافق من التاريخ الميلادي سنة ٧١٦ م^(١) . وقد رجح بعضهم سنة ٩٧ هـ كما نص عليه الجزري في النهاية^(٢) . ولقد كانت ولادته في الكوفة ، ونشأ فيها في أسرة صالحة تقية عائلة ...

- - -

(١) انظر الأعلام للزركلي (ج ٣ / ١٥٨) .

(٢) انظر مقدمة تفسير الثوري للأستاذ أمّيناز علي عرشي ص ١١ .

- مكانه :

عاش سفيان أول حياته في الكوفة كما مر معنا ،
ثم خرج منها سنة ١٤٤ هـ هرباً من أبي جعفر المنصور
الذي راوده على تسلم القضاء ، وكان قد قضى في الكوفة
٤٨ عاماً .

ثم سكن في المدينة المنورة ومكة المكرمة ، حتى
أرسل المهدي في طلبه ، ولاحقه ملاحقة شديدة ، فانتقل
سفيان إلى البصرة ، واختفى فيها ، وقضى بقية حياته هناك .

. . .

- أسرته :

نشأ سفيان في أسرة صالحة ، تتألف من أفراد لم
يجمعهم كتاب أو بحث ، وإنما جمعهم من الاستقراء الشديد
لأخبار سفيان وحياته .

فظهر لي أن أسرته تتألف من أبوين وإخوة ، وأختان
ولكل واحدة منها ولد ، وزوجة ، وولدين ، وابنة ، وعم .

وتظهر على هذه الأسرة علائم التقوى والصلاح والعلم،
بما سنراه مفصلاً في محله إن شاء الله ...

. . .

أما تفصيل نشأته وأسرته فهي :

١ - نسبه :

ذكره ابن خلكان في تاريخه بالشكل التالي :

« هو : أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق بن
حبيب بن رافع بن عبد الله بن موهبة بن أبي بن عبد الله
ابن منقذ بن نصر بن الحكم بن الحارث بن ثعلبة بن ملكان
ابن ثور بن عبد مناة بن آد بن طابخة بن إلياس بن مضر
ابن زار بن معد بن عدنان الثوري الكوفي (١) » .

ونسبة الثوري : إلى كلمة - ثور - وهو : أبو قبيلة
من مضر (٢) ، وذكر ابن النديم (٣) أنه كان يقال : في بني

(١) انظر تاريخ ابن خلكان (ج ١ / ٢١٠) ، ومقدمة تفسير

القرآن الكريم للثوري لحققة امتياز علي عرشي ص ٩ .

(٢) القاموس المحيط (ج ١ / ٣٨٤) .

(٣) الفهرست ص ٣٢٨ .

ثور ثلاثون رجلاً ليس منهم رجل دون الربيع بن خيثم ،
وكلهم بالكوفة .

وهناك أشخاص اشتهروا - بالثوري - أشير إلى
بعضهم ، منهم :

- أبو سعيد الثوري ، واسمه : عقيصاً ، روى عن
علي . وذكره ابن سعد في طبقاته .

- أبو محمد الثوري ، واسمه : عبد الله بن محمد بن
هرون ، وذكره ابن النديم في الفهرست .

- والربيع بن خيثم الثوري . - والمنذر بن يعلى الثوري .
- وسعيد بن وهب الثوري ، وغيرهم ...

٢ - والده :

هو : سعيد بن مسروق ، المتوفى سنة ١٢٦ هـ ،
ثقة بين المحدثين ، روى له الستة (١) .

وقال فيه ابن أبي حاتم (٢) : « روى عن أبي الضحى

(١) انظر التفریب فی ترجمة والده .

(٢) انظر المجرى والعدیل (ج ٢/٦٦) طبع جیدر آباد الدکن
بالهند مطبوعات دار المعارف .

. وإبراهيم التيمي ، والشعبي ، وعكرمة ، ومنذر الثوري ،
 . وروى عنه ابنه سفيان ، وشعبة ، وأبو عوانة .

حدثنا عبد الرحمن قال : سمعت أبي يقول ذلك ،
 .. وسمعتة يقول : هو ثقة ، وكان والد سفيان أحد شيوخ
 أبي حنيفة رضي الله عنه (١) .

ونقل ابن أبي حاتم أيضاً في ترجمته عن سفيان :
 أن أباه روى عن إسحاق بن منصور عن يحيى بن معين
 أنه قال :

سميد بن مسروق ثقة .

. . .

٣ - والدته :

لم أعر على اسمها ، إلا أن هناك أخباراً تبين لنا
 فضلها ومكاتها ، وما لها من أثر حسن في توجيه سفيان
 هذا التوجيه العظيم للعلم والعمل معاً ، وما أعظم أثر الأمهات
 الصالحات في توجيه أولادهن !!!

(١) انظر (النافع الكبير لمن يطالع الجامع الصغير) للامام الالكوي .

روى الامام أبو عبد الله أحمد بن حنبل رحمه الله بسنده عن وكيع^(١) ، قال : قالت أم سفيان لسفيان :

« يا بني أطلب العلم وأنا أكفيك بمغزلي ، فكانت - رحمها الله - تعمل وتقدم له ليتفرغ للعلم .

وكانت والدته تتخوله بالموعظة والنصيحة ، قالت له ذات مرة ، كما روى الإمام أحمد أيضاً^(٢) :

« يا بني إذا كتبت عشرة أحرف ، فانظر هل ترى في نفسك زيادة في خشيتك وحلمك ووقارك ، فإن لم تر ذلك ، فاعلم أنها تضررك ولا تنفعك » .

فلا غرابة بعد هذا : أن نرى سفيان الثوري وصل إلى ما وصل إليه من العلم والعمل ، مادام قد تربى في مثل هذه الأسرة الكريمة المريقة بالتقى والصلاح ، وتقذى بلبان هذه الأم الرحيمة الناصحة التقية ...

٤ - إخوته :

وقفت أثناء البحث على أخوين لسفيان :

(١) انظر كتاب الورع للامام أحمد .

(٢) » » » » » وانظر مقدمة تفسير الثوري ص ١٠

أحدهما : المبارك بن سعيد ، الذي كان من شيوخ الأصمعي اللذوي ، وكان أعمى ، روى له أبو داود والترمذي والنسائي .

وقال عنه ابن حجر (١) : صدوق ، وترجم له الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ترجمة واسعة (٢) .

وثانيها : عمرو بن سعيد ، ذكر ابن حجر عنه أنه ثقة ، وروى له مسلم وأبو داود والنسائي . وكان صالحاً تقياً ، زكاه سفيان بعد موته إذ قال على قبره (٣) : « رحمك الله يا أخي ، إن كنت لسليم الصدر للسلف ، وإن كنت لتحب أن تخفي علمك - أي لاتحب الرياسة » .

وذكر ابن النديم (٤) : أنه له اختاً ، كان سفيان قد جعل لها ولايتها على كل ما يملك قبل وفاته . وفي اسم ابنها روايتان ، وعلمها أختان لسفيان ،

(١) انظر التقريب في ترجمة مبارك بن سعيد ، وتهذيب التهذيب (ج ٨٢/٤) .

(٢) انظر تاريخ بغداد (ج ١٣/٢١٦ - ٢١٩) .

(٣) انظر مقدمة الجرح والتعديل ص ٦٩ .

(٤) انظر الفهرست في ترجمة سفيان .

وقد ذكر ابن حجر اسم ابنها - سيف بن محمد - كما ذكر أبو نعيم^(١) أن اسمه - علي بن حمزة - فأما أن يكونا إخوة لأم فقط ، أو يكون لسفيان أختان ، والله أعلم .

هـ - زوجته :

هناك أخبار وقصص^(٢) تدل على نفور الثوري من الزواج ، خوفاً من تربيته الولد وهمومه !

إلا أنني رأيت في الحلية لأبي نعيم^(٣) قصة تدل على أنه كان متزوجاً من امرأة لم يذكر من هي ، وذكر أن سفيان أوصى بما بقي لها من صداق عليه قبل وفاته ، ولا تدري أمي أم سميد ومحمد ولديه أم غيرها ؟!

وبهذا تتأكد من أن سفيان كان متزوجاً ، وما كان نفوره من الزواج أولاً إلا لظروف تعرض على الانسان وتزول ، لما يرى من فساد في المجتمع ...

(١) انظر الحلية (ج ٧ / ٢٣) .

(٢) انظر مقدمة المرح والتعديل ص ٩٠ . وانظر مقدمة تفسير الثوري ص ٣٠ .

(٣) الحلية (ج ٧ / ٦٢) .

وذكر صاحب مقدمة تفسير الثوري ، الأستاذ امتياز علي عرشي أن سفيان نكح مرتين في حياته .

٦ - أولاده :

ذكر ابن النديم^(١) : أن سفيان لم يعقب بعده ، بل كان له ولد مات قبله .

وذكر أبو نعيم^(٢) : أن له ابناً اسمه : سعيد ، مات قبله ، ولم يهتم بموته ، ولم يهلع ولم يجزع ، بل كان صابراً حامداً ، ويلاحظ أنه سماه باسم أبيه سعيد ، كما هي العادة الشائعة حتى هذه الأيام ...

وذكر أيضاً^(٣) : أن له ابناً آخر اسمه - محمد - كان قد بلغ عشر سنين ، ويظهر أنه خير سعيد ، ولكننا لم نعرف شيئاً من بقية حياته ولعله مات صغيراً ، ولم يعقب أحداً بعده كما ذكر ابن النديم . وذكر أبو نعيم^(٤) : أن له ابنة ، لم تقف على اسمها .

. . .

-
- (١) الفهرست ص ٣٢٨ .
 - (٢) الحلية (ج ٣٨١/٦) .
 - (٣) الحلية (ج ٧٤/٧) .
 - (٤) الحلية (ج ٣٧٣/٦) .

٧ - عمته :

لم أعرف عنه شيئاً سوى أنه توفي في بخارى ،
 وذهب سفيان الثوري إلى بخارى لأخذ نصيبه من الارث
 من تركه عمه ، كما ذكر ذلك الخطيب البغدادي (١) .

٨ - عقيدته :

لقد كان سفيان إماماً من أئمة أهل السنة والجماعة كما يظهر
 هذا من أقواله عند الحديث عن علومه .

إلا أن بعض العلماء نسبوه إلى التشيع عامة ، كما
 نسبهم إلى الزيدية (٢) خاصة .

ولعل السبب في هذا ماسيأتي معنا من أن سفيان
 كان في أول نشأته يرى تفضيل علي بن أبي طالب على أبي
 بكر وعمر رضي الله عنهم جميعاً ، حيث نشأ في الكوفة
 التي يكثر فيها التشيع ، فلما ارتحل إلى البصرة عدل عن
 هذا الرأي ورجع إلى تفضيل أبي بكر وعمر عليه .

(١) تاريخ بغداد (ج ٩ / ١٥٣) .

(٢) انظر مقدمة تفسير الثوري للأستاذ امتياز علي عرشي ص ١٦ .

روى أبو نعيم^(١) أنه : كان رأي سفيان الثوري رأي أصحابه الكوفيين يفضل علياً على أبي بكر وعمر ، فلما صار إلى البصرة رجع عنها ، وهو يفضل أبا بكر وعمر على علي رضي الله عنهم جميعاً .

وهذا هو الحق في عقيدة سفيان الذي سيأتي معنا ما يؤكده إن شاء الله في الحديث عن علومه والله أعلم .

. . .

٩ - رحله وتنقلاته :

كانت تنقلات سفيان لأسباب ودوافع عديدة مختلفة ، منها ما كان للعلم وطلبه ، ومنها ما كان للتجارة ، وأكثرها هرباً من السلطان الذي كان يتبعه أينما حل وارتحل ، بعداً منه عن المناصب العالية التي كانت تعرض عليه .

فبعد أن علمنا أنه نشأ بالكوفة مسقط رأسه ، وقضى فيها ٤٨ سنة ع-رض المنصور عليه القضاء ، فهرب منه ، وتسلمه حينئذ شريك .

(١) انظر الحلية (ج ٣١/٧) .

واتجه سفيان إلى مكة المكرمة ، والمدينة المنورة ،
وقضى فيها أوقاته بالعلم والتعليم ، والعبادة والاكثار منها .
ويظهر من الاخبار أنه كان لسفيان ذهاب إلى الحج

في صفره أيضاً لأن ابن أبي حاتم يروي أنهم رأوه في مكة
يستقى ولما يخط وجهه بعد ، - أي في شبابه وصباه - .

كما يذكر أبو نعيم (١) : أنه زار الطائف مصاحباً إبراهيم
ابن أدهم ، وإبراهيم بن طهمان .

وأنه زار (٢) بيت المقدس ، واجتمع هناك بإبراهيم بن
أدهم ، وله معه قصة أذكرها في قسم حياته العملية تحت
عنوان - تواضعه - .

وروى أبو منصور الواسطي - كما نقل عنه أبو نعيم
أن سفيان قدم إلى واسط ، وزاره هناك .

ويروي الاملم أحمد (٣) : أن سفيان رحل إلى اليمن
للتجارة ، وللقاء معمر ، كما يذكر النووي (٤) أنه ذهب

(١) الحلية (ج ٦ / ٣٨٨) .

(٢) الحلية (ج ٦ / ٣٦٧) .

(٣) انظر كتاب الورع ص ١٣ .

(٤) انظر تهذيب النووي (ج ١ / ٢٤٥) .

إليها هرباً من المنصور .

وذكر أبو نعيم أن سفيان رحل إلى خراسان واجتمع فيها ب : نصر بن سيار ، وأجتر نفسه هناك ، وعمل .

وذهب مرة إلى بخارى لطلب ميراث عمه هناك كما مر بنا سابقاً ، وبينما سفيان مقيم في مكة والمدينة ، أرسل المنصور - وهو في طريقه إلى مكة - في قتل سفيان ، فذهب سفيان إلى البيت - الكعبة - وأخذ برتاجه ، وقال : برئت منه إن دخلها أبو جعفر ، فلم يدخلها أبو جعفر إلا ميتاً^(١) .

ثم بلغه أن المهدي أرسل في طلبه هناك ، وبلغ البحث عنه أشده ، حتى ذكر أحد الرواة : أنه كان ينادى عليه في شوارع مكة والمدينة ، وخصصت جائزة ثمينة لمن يأتي به ، فأخذ سفيان يرحل إلى البصرة^(٢) ، حيث نزل في أحد بساتينها يعمل فيها بأجر حارساً على بستان نخيل ، فمر عليه شخص من المشارين ، فقال له : من أنت يا شيخ ؟ قال : من أهل الكوفة ، قال : أخبرني : أرطب البصرة أحلى أم رطب

(١) انظر تهذيب النووي (ج ١ / ٢٤٥) .

(٢) انظر الحلية (ج ٧ / ١٣) .

الكوفة ؟ قال : أما رطب البصرة فلم أذقه ، ولكن رطب
السابرية بالكوفة حلوا . فقال : ما أكذبك من شيخ !! الكلاب
والبر والفاجر يأكلون الرطب الساعة وأنت تزعم أنك لم
تذقه ؟ فرجع إلى العامل وأخبره بما قال ليعجبه ، فقال :
ثكلتك أمك ، أدركه ، فإن كنت صادقاً فإنه سفيان الثوري
نخذه لتتقرب به إلى أمير المؤمنين المهدي ، فرجع في طلبه
فما قدر عليه ، وهرب سفيان من البستان واختفى في بيت
من البيوت ، وأمضى بقية حياته في البصرة .

وقد كثرت تنقلات سفيان حتى تعجب الناس في عهده ،
وسأله عن ذلك بقولهم^(١) : « إن للناس مأوى ، وللبيع
مأوى ، ومالك مأوى تأوي إليه ؟ فقال سفيان للسائل :

أي رجل كان المغيرة بن مقسم الضبي ؟ قال : رجل
صالح إن شاء الله ، قال : وأي الرجال كان إبراهيم النخعي ؟
قال : بخ بخ ، قال : فأأي الرجال كان علقمة ؟ قال :
لاتسأل . قال : فأأي الرجال كان عبد الله بن مسعود ؟ قال :
الثقة الصدوق ، فقال سفيان :

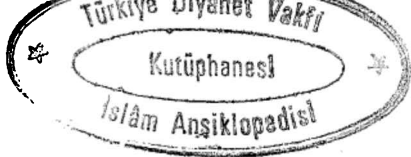
(١) انظر الحلية (ج ٦ / ٢٧٤) .

حدثنا المفيرة عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله بن مسعود قال : اقتحم على أهل الجنة نور في قبايهم كاد أن يخطف نوره أبصار القوم ، فاذا نور من حوراء ضحكت في وجه وليها ، فما كنت لأدع هذا الخير أبداً لقولك ، ثم أنشأ سفيان يقول :

ما ضرَّ من كانت الفردوس مسكنه ماذا تجرع من بؤسٍ وإقتار
 تراه يمشي كثيراً خائفاً وجلاً إلى المساجد يمشي بين أطمار
 ثم أقبل على نفسه ، فقال :

يا نفس مالك من صبرٍ على النلر قدحان أن تُقبلي من بعد إديار

- - -



الفصل الثالث

وفاة سفيان الثوري

لقد كانت نهاية سفيان الثوري نهاية مؤلمة ، حيث كان هذا العالم العظيم محتفياً مطارداً من السلطان وعماله ، فلت على هذه الحال في البصرة ليلاً^(١) ، ولم يتمكن أصحابه وأجابه من الصلاة عليه ، بل أخذوا يفدون إلى قبره غداة يوم وفاته .

وكانت وفاته في شعبان سنة ١٦١ هـ عن /٦٥/ سنة تقريباً ، والموافق سنة ٧٧٨ م^(٢) . وقيل حول ذلك لخلاف في تاريخ الوفاة والولادة .

وقد غسله عبد الرحمن بن إسحق الكنافي ، روى أبو نعيم عنه : أنه لما مات سفيان حمله إلى القنصل ليغسله ، فخل إزاره ، فاذا فيها رقعة فيها أطراف الحديث .

(١) انظر الحلية (ج ٦ / ٣٧٢) .

(٢) الأعلام للزركلي في ترجمة سفيان . وانظر الخلاف في ذلك في

مقدمة تفسير الثوري ص ٣٠ .

كما حدث أبو أسامة^(١) قال : « كنت بالبصرة حين مات سفيان ، فلقيت يزيد بن إبراهيم صبيحة ليلته التي مات فيها سفيان ، فقال لي : قيل لي في منامي : مات أمير المؤمنين ، فقلت للذي يقول في المنام : مات سفيان الثوري؟ قال : قد مات الليلة ، قال : فكان قد مات تلك الليلة ولم نعلم . فكانه لما مات مختفياً ، أطلع الله أحبابه وأصحابه على وفاته بالرؤيا ليتفقدوه ويدفنوه رحمه الله تعالى .

ودُفِنَ الثوري في مقابر بني كليب بالبصرة وقت العشاء ، وكان أبو حاتم الرازي قد زار قبره هناك^(٢) .

رثاؤه وحزن الأئمة عليه :

توفي سفيان الثوري ، وفقدت الأمة بوفاته رجلها العظيم ، وقدمتها الكبرى ، فكان الحزن عليه عظيماً بين بين الأئمة العلماء وعامة الناس .

وبكفينا في هذا موقف - ابن المبارك - وهو الامام القدوة حيث يقول متأسفاً على سفيان :

(١) الحلية (ج ٦ / ٣٨٢) .

(٢) الأنساب ص ١١٧ . انظر مقدمة تفسير الثوري ص ٢٩ .

« لَمْ يَلَمْ أَطْرَحْ نَفْسِي بَيْنَ يَدَيِ سَفِيَّانٍ ؟ مَا كُنْتُ
أَصْنَعُ بِفُلَانٍ وَفُلَانٍ (١) ؟؟ » .

وروى أبو نعيم بسنده في الحلية عن بعض أصحاب
سفيان قوله :

« مات سفيان بالبصرة ودفن ليلاً ، ولم تشهد الصلاة
عليه ، وغدونا على قبره ، ومعنا ، جرير بن حازم ، وسلام
ابن مسكين ، فتقدم جرير وصلى على قبره ثم بكى ، وقال :
إِذَا بَكَيْتَ عَلَى مَيِّتٍ لِمَكْرَمَةٍ فَاكْبِ الْغَدَاةَ عَلَى الثَّوْرِيِّ سَفِيَّانَا
فَظَنَنْتُ أَنَّهُ هِيَ أَيْبَانًا يَقُولُهَا ، فَسَكَتَ ، فَقَالَ
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الصَّبَّاحِ :

أَبِي عَلَيْهِ وَقَدْ وُلِّيَ وَسُودِدَ وَفَضْلُهُ نَاضِرٌ كَالْفَضَنِ رِيَانًا (٢)
وذكر عبد الرحمن بن أبي حاتم (٣) قال : حدثنا
أبو سعيد الأشج ، حدثنا عبدالله بن وهب الحضرمي ، قال :
قال أبو زياد الفقيمي رحمه الله تعالى :

(١) تاريخ بغداد (ج ١٥٦/٩) .

(٢) الحلية (ج ٣٧٢/٦) .

(٣) مقدمة الجرح والتعديل ص ١٧٣ .

لقد مات سفيان حميداً مبرزاً
يلوذ بأبواب الملوك بنيّة
يشمر عن ساقيه والرأس فوقه
جُمَلْتُمْ فداءً للذي صان دينه
على غير ذنب كان إلا تنزهاً
بميد من أبواب الملوك مجانباً
فميني على سفيان تبكي حزينة
يقلب طرفاً لا يرى عند رأسه
على مثله تبكي العميون لفقده
لجئنا به حبراً فقيهاً مؤدباً

على كل قارئ محبته الطامع
مبهجة والزي فيه التواضع
مبركة^(١) فيها اللصيص المخادع
وقرّ به حتى حوته المضاجع
عن الناس حتى أدركته المصارع
وإن طلبوه لم تنله الأصابع
شجهاها طريد تازح الدار شاسع
قريباً جميعاً أوجعته الفواجع
على واصل الأرحام والخلق واسع
بفقه جميع الناس قصد الشرائع

رؤياهم له في حياته وبعد موته :

روى أبو نعم بسنده عن إبراهيم بن أيمن البجلي :

قال :

« رأيت سفيان الثوري في المنام ولحيته حمراء صفراء ،

فقلت : ما صنعت فديتك ؟ قال : أنا مع السفارة ، قلت :

(١) كذا في الأصل ، وفي تاريخ بغداد « قلنسوة » ، (ج ٩/ ١٧٣) .

وما السفرة ؟ قال : الكرام البررة (١) .

وقال مؤمل بن إسماعيل :

« رأيت سفيان الثوري في المنام ، فقلت له : يا أبا عبد الله ما صنع بك ربك ؟ قال : غفر لي ، فقلت : يا أبا عبد الله لقيت محمداً ﷺ وحزبه ؟ قال : نعم (٢) . »

وحدث عثمان بن زائدة ، قال :

« رأيت في النوم كأني أدخلت الجنة ، فإذا سفيان يطير من شجرة إلى شجرة ، وهو يقول : تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والمقامة للمتقين (٣) . »

وحدث مصعب بن المقدم قال : « رأيت النبي ﷺ في النوم آخذاً بيد سفيان الثوري ، وهو يجزيه خيراً ويقول : حسن الطريقة (٤) . »

ويقول الوليد بن مسلم :

(١) (٣١٢ و٣٨٤ ج ٦) .

(٢) (٣٨٥ ج ٦) .

« رأيت النبي ﷺ في المنام ، فعرضت عليه الناس^(١) ، فكأنه كرهه ، فقلت : يا رسول الله بمن تأمر ؟ قال : عليك بسفيان الثوري^(٢) » .

وحدث قبيصة^(٣) أنه رأى سفيان في المنام ، فقال له : ما فعل بك ربك ؟ فقال :

نظرت إلى ربي كفاحاً فقال لي هنيئاً رضائي عنك يا ابن سميد
فقد كنت قواماً إذ أقبل الدجى بعبرة مشتاق وقلب عميد
فدونك فاختر أي قصر أردته وزرني فاني منك غير بعيد

وجميل ما نقل عن الامام أحمد رحمه الله أنه كان يعجبه من سفيان الثوري أنه إذا قيل له : إنه رؤي في المنام ، قال :

« أنا أعرف بنفسي من أصحاب المنامات^(٤) » .

(١) كذا في الأصل ، ولله (بعض الناس) فهو سقط مطبعي .

(٢) الحلية (ج ٦ / ٣٨٣) .

(٣) الحلية (ج ٧ / ٧٤) .

(٤) انظر كتاب : سفيان الثوري أمير المؤمنين في الحديث للدكتور

عبد الحليم محمود ص ٦٣ .

البَابُ الثَّانِي

وهو : في حياة سفيان الحلي ، ويقع في أربعة فصول :

الفصل الأول : طلبه العلم ونبوغه فيه ، وأساتذته وتلاميذه .

الفصل الثاني : علومه ، وتشمل :

١ - العقيدة .

٢ - التفسير .

٣ - الحديث .

٤ - الفقه .

٥ - الأخلاق .

٦ - الحساب .

الفصل الثالث : مؤلفاته وآثاره .

الفصل الرابع : ثناء الأئمة عليه .

الفصل الأول

طلبه العلم ونبوغ فيه ، وأسائره ونهله

١ - طلبه العلم :

نشأ سفيان في طفولته مندفعاً إلى تحصيل العلم والاستزادة منه ، وقد روى ابن أبي حاتم عن سفيان أنه قال :

« أنا في هذا الحديث منذ ستين سنة (١) ، مع العلم أنه عاش / ٦٥ / سنة ، ولا غرابة فانه نشأ - كما مر بنا - في أسرة تقية عالة ، وشب في الكوفة حيث يكثّر العلماء ... »

فوالده - سعيد بن مسروق - كان أحد شيوخ الامام أبي حنيفة ، فلتقى سفيان عن والده العلم أول ما تلقاه حيث يعيش معه في أسرته ، فروى عنه .

وعندما شب وأراد العمل في الحياة ، أخبر عن نفسه أنه قال :

(١) المقدمة لابن أبي حاتم ص ٥٩ .

« لما أردت أن أطلب العلم قلت : يارب إنه لا بد لي من معيشة ، ورأيت العلم يدرس ، فقلت أفرغ نفسي لطلبه ، قال : وسألت ربي الكفاية (١) ، .

وعزم على طلب العلم حتى كفلت له والدته الانفاق عليه كما مر بنا في الحديث عنها أنها قالت : يا بني ، اطلب العلم وأنا أكفيك بمغزلي ، فأخذ يتلقى العلم عن شيوخه المتعدين ، وعن كل من يحمل علماً أو خبراً ...

وكان كثير الاهتمام في طلب العلم ، ذكر أبو نعيم : أنه كان إذا لقي شيخاً سأله : هل سمعت من العلم شيئاً ؟ فإن قال : لا ، قال : لاجزاك الله عن الاسلام خيراً (٢) . ومن مظاهر اهتمامه بالعلم ، أنه كان يقول : « ينبغي للرجل أن يكره ولله على طلب الحديث ، فانه مسئول عنه (٣) » .

وقد تابع سفيان العلم وطلبه إلى آخر أنفاسه ، فطلبه من المهد إلى اللاحد ، وما أروع ما ذكره أبو نعيم بسنده عن

(١) الحلية (ج ٦ / ٣٧٠) .

(٢) الحلية (ج ٦ / ٣٦٥) .

(٣) « (ج ٦ / ٣٦٥) .

فرقد - إمام مسجد البصرة - أنهم دخلوا على سفيان في مرض موته ، فحدثه رجل بحديث فأعجبه ، وضرب سفيان يده إلى تحت فراشه ، فأخرج ألوأحاً فكتبه ، فقالوا له : على هذه الحال منك ؟! فقال : إنه حسن ، إن بقيت فقد سمعت حسناً ، وإن مت فقد كتبت حسناً^(١) .

ولم يكن اهتمام سفيان بالعلم مقصوراً على طلبه ، بل كان يعمل به ويحرص على إشاعته بين الناس والدعوة إليه .
روى أبو نعيم أنه كان يقول :

« ليس عمل بعد الفرائض أفضل من طلب العلم »
وكان يقول : « لا تزال نتعلم العلم ما وجدنا من يعلمنا^(٢) » .
وكان يقول : « لو لم يأتيني أصحاب الحديث لأتيتهم في بيوتهم » .

ويقول : « لو أني أعلم أن أحداً يطلب الحديث بنية لأتيته في بيته حتى أحدثه^(٣) » .

(١) الحلية (ج ٧ / ٨٤) .

(٢) » (ج ٦ / ٣٦٣) .

(٣) » (ج ٦ / ٣٦٦) .

وما كان طلب العلم عنده إلا للعمل به ، والاستزادة
من خشية الله سبحانه لأنه « إنما يحشى الله من عباده العلماء »
فهو القائل :

« إنما يطلب العلم ليتقى الله به ، فمن ثم فضل ،
خلولا ذلك لكان كسائر الأشياء (١) . وكان يقول : « ليس
طلب العلم فلان عن فلان ، إنما طلب العلم الخشية لله عز
وجل (٢) » .

. . .

٢ - نبوغه العلمي :

هناك أخبار كثيرة تظهر لنا نبوغ سفيان الثوري في
العلم والقيم ، وهو فقي حدث السن ، حيث ذاع اسمه بين
الناس مع كثرة العلماء في عهده ، فتكاثرت عليه الوفود طالبة
رأيه وعلمه ، وقاصدة فتواه وهو فقي لم يبت شعر وجهه بعد ...
روى ابن أبي حاتم بسنده عن الوليد بن مسلم . قال :

(١) الحلية (ج ٦ / ٣٦٤) .

(٢) » (ج ٦ / ٣٧٠) .

« رأيت سفيان الثوري بمكة يُستفتى ولما يخط وجهه بعد (١) » .

وروى أبو نعيم أيضاً بسنده عن أبي الثني ، قال :
« سمعت الناس - بمرور - يقولون : قد جاء الثوري...
فخرجت أنظر إليه فإذا هو غلام قد بقّل وجهه (٢) » .
كما روى عن محمد بن عبيد الطنافي ، قال :

« لا أذكر سفيان الثوري إلا وهو يفتي ، أذكر
منذ سبعين سنة ، ونحن في الكتاب تمر بنا المرأة والرجل
فيسترشدونا إلى سفيان يستفتونه ويفتيم (٣) ... » .

وقد تفرس به أساتذته النبوغ ، وما يشير إلى ذلك
قول سفيان عن نفسه : « كنت آتي حماد بن أبي سليمان
فقال : إن في هذا الفتى مصطنماً (٤) » .

وما هي إلا سنوات وإذا بسفيان يصبح العالم العظيم ،

(١) المقدمة ص ٥٦ .

(٢) الحلية (ج ٦ / ٣٦٠) وقبل وجهه : أي نبت شعر وجهه ...

(٣) الحلية (ج ٦ / ٣٥٧) .

(٤) المقدمة ص ٨٤ .

والمرج الكبير يرجع إليه في شتى الأمور والمسائل .

وهذا هو ابن المبارك يقول : « كنت إذا أعياني شيء أتيت سفيان أسأله ، فكأنما أغتمسه من بحر » ، وكان يقول : « ما أعلم على الأرض أعلم من سفيان (٢) » .

وحدث أخوه مبارك بن سعيد قال : « رأيت عاصم ابن أبي النجود ، يجيء إلى سفيان يستفتيه ويقول : أتيتنا يا سفيان صغيراً ، وأتيناك كبيراً (٣) » .

وقد شهر سفيان بنبوغه وسعة علمه بين العلماء ، روى الخطيب في تاريخ بغداد بسنده عن الامام أحمد أنه قال : ألقى أبو إسحاق فريضة فلم يضعوا فيها شيئاً ، فقال : لو كان الفلام الثوري فصلها الساعة ، إذ أقبل سفيان ، فقال له : ماتقول في كذا وكذا ؟ قال سفيان : أنت حدثتنا عن علي بكذا وكذا ... والأعمش حدثنا عن ابن مسعود بكذا وكذا ... ، وفلان حدثنا فيها بكذا وكذا ... قال أبو إسحاق : كيف ترون من ساعة فصلها !! ألا تكونون مثله (٢) ؟ ، .

(١) المقدمة ص ٥٧ .

(٢) الحلية (ج ٢٥٧/٦) .

(٣) تاريخ بغداد (ج ١٦٢/٩) .

إلى غير ذلك من أخبار تصور لنا سفيان الثوري
نافذة كبيراً يندر وجود مثله في العصور ...

. . .

٣ - أسانذته :

إن كثرة شيوخ سفيان ، وعظم مكاتبتهم لتدلنا بشكل
واضح على اهتمامه بطلب العلم وتلقيه عن كبار علماء عصره ...
فكان لا يترك أحداً إلا ويسأله ويطلب الاستفادة منه ،
وقد مر بنا سابقاً أنه كان لا يمر بشيخ إلا ويسأله عما معه
من أخبار ، فإن قال لا يوجد عنده شيء ، قال سفيان :
لا جزاك الله عن الاسلام خيراً .

وأول أسانذة سفيان - والده - سعيد بن مسروق
الذي تحدثنا عنه في بحثنا عن أسرة سفيان ، فقد روى
عنه سفيان بعض الأخبار .

وإن من أبرز شيوخه في الحديث - الأعمش -
الذي كان سفيان أعلم الناس بحديثه ، كما سيأتي معنا إن
شاء الله .

وإن من المسير علينا إحصاؤهم لكثرتهم وشيوعهم ،

وسأكتفي هنا بما ذكره الخطيب البغدادي في تاريخه ممدداً
أساتذته ، ومنهم (١) :

« أبو إسحق السبيعي - وعمرو بن مرة - ومنصور
ابن العتمر - وسلمة بن كهيل - وحبيب بن أبي ثابت -
وعبد الملك بن عمير - وأبو حصين - وإسماعيل بن أبي
خالد - وحصين بن عبد الرحمن - وأيوب السختياني -
ويونس بن عبيد - وسليمان التيمي - وعاصم الأحول -
وعمر بن دينار - وعبد الله بن دينار - وأبو الزناد -
والعلاء بن عبد الرحمن - وصالح مولى التوءمة - وسهيل
ابن أبي صالح - وخلق غير هؤلاء ... » .

ع - تلامذته :

إن كانت هناك صعوبة في إحصاء أساتذة سفيان ،
فإن هذه الصعوبة أكثر وأكثر في إحصاء تلامذته والرواة عنه...
إذ أن مئات من العلماء ملؤوا كتب الحديث والفقه
بالرواية عن سفيان ، وفي مختلف العلوم ...

(١) تاريخ بغداد (ج ١٥٢/٩) .

وأكتفي هنا بذكر عدد من البارزين بالرواية عنه ،
ونقل أخباره ، واتباع مجالسه ومذهبه ، وقد ذكر الخطيب
البغدادي في تاريخه عدداً منهم^(١) ، مثل :

محمد بن عجلان - ومعمّر بن راشد - والأوزاعي -
وابن جريج - ومحمد بن إسحاق - ومالك - وشعبة -
وابن عينة - وزهير بن معاوية - وإبراهيم بن سعيد -
وسليمان بن بلال - وأبو الأحوص سلام بن سليم - وحمام
ابن سلمة - وعبثر بن القاسم - وفضيل بن عياض - وزائدة
ابن قدامة - ويحيى بن سعيد القطان - وعبد الرحمن بن
مهدي - ووكيع - وعبد الله بن المبارك - وعبيد الله الأشجعي
الذي ذكر أبو نعيم عنه : أنه روى عن سفیان / ٣٠ / الف
حديث^(٢) - ومحمد بن يوسف الفريابي - وأبو نعيم (الفضل
ابن دكين) - وقبيصة بن عقبة - وغيرهم . وكذلك - علي
ابن المديني - ومحمد بن الحسن - وجابر الجعفي الذي سمع
من سفیان / ١٠ / آلاف حديث^(٣) .

(١) تاريخ بغداد (ج ١٥٢/٩) .

(٢) الحلية (ج ٣٦٨/٦) .

(٣) تاريخ بغداد (ج ١٦٣/٩) .

الفصل الثاني

علوم

مقدمة عن علومه :

مر بنا سابقاً قول عبد الله بن المبارك : « تعجني مجالس سفيان الثوري ، كنت إذ شئت رأيت في الورع ، وإذا شئت رأيت مصلياً ، وإذا شئت رأيت غائصاً في الفقه^(١)... ».

فلم يكن سفيان كالعلماء المتأخرين الذين انحصروا بعلم دون آخر ، وفن خاص من الفنون ، فيبرزون فيه دون غيره ، وإنما كان ذا شخصية متعددة الجوانب ، جامعة لأنواع كثيرة من العلوم والفنون ، ومبرزة في كل منها ...
فإذا ما نظرت إلى أقواله في العقيدة ، وجدتها الآراء السهلة الواضحة ...

وإذا ما قلبت كتب التفسير ، وجدته المفسر الكبير ...
وإذا ما نظرت إليه في الحديث والسنة ، وجدته كما قال عنه علماؤها : « أمير المؤمنين في الحديث » .

(١) الحلية (ج ٦ / ٣٥٨) .

وإذا ما نظرت إليه في الفقه ، وجدته صاحب مذهب
سفياني خاص ...

وإذا ما نظرت إليه في العلوم العقلية والفكرية ،
وجدته المفكر والحسابي البارِع ...

وسأعرض - إن شاء الله - في هذا الفصل إلى
غيضٍ من فيض ، وقليل من كثير من علومه وآرائه ،
مما يكون بمثابة مفتاح لمن أراد التوسع في هذا المضمَر ،
وإطاراً عاماً حول هذه الشخصية العظيمة بما يناسب الرسالة
وموضوعها ...

مشيراً إلى أنني سوف أتبع في ذكر علومه ترتيباً
خاصاً حسب مكانة العلم ومنزلته بين العلوم ، لا حسب
الشهرة فيه لسفيان ... مبتدأً بعلم العقيدة ، فالتفسير ،
فالحديث ، والفقه ، فغيرها ...

الْعَمِيْدَةُ

عائش سفيان الثوري في جو انتشرت فيه البدع والفرق ، فمن حوله المرجئة ، والقدرية ، والشيعة ...

فكان صريحاً في بيان عقيدته كل الصراحة ، موضحاً موقفه من هؤلاء وهؤلاء ... مما سأعرض له تفصيلاً إن شاء الله .

ومما يؤكد لنا سنية سفيان ، ما رواه أبو نعيم بسنده عنه : « أنه قال ليوسف بن أسباط : يا يوسف ، إذا بلغك عن رجل بالشرق صاحب سنة ، فابعث إليه بالسلام ، وإذا بلغك عن آخر بالمغرب صاحب سنة فابعث إليه بالسلام فقد قل أهل السنة والجماعة (١) ... » .

ومما رأيت من أقواله ومواقفه في العقيدة :

أن الايمان عند سفيان : إقرار وعمل ، فقد روى أبو نعيم بسنده عنه أنه قال : « عليكم بما عليه المالون والنساء في البيوت ، والصبيان في الكتاب من الاقرار والعمل (٢) » .

(١) الخلية (ج ٣٤/٧) .

(٢) " (ج ٣٠/٧) .

كما يرى أن الإسلام يدل على مساهمة ، ولا حاجة
للتوغل في تعريفه ، فعندما جاءه أخوه مبارك يسأله قال :
قالوا : يا أبا عبدالله لا يزال قوم يسألون عن الإسلام ما الإسلام ؟
قال له سفيان :

« إذا غدوت إلى السوق فانظر إلى أدنى حمال فاسأله
عنه ، فإذا أخبرك عنه فهو ذاك (١) » ، يريد بذلك المعنى القريب
المتبادر إلى الأذهان .

وكان يرى أن الإسلام والايان شيء واحد ، فيقول
ذلك ويقرأ قوله تعالى : « فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين
فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين » (٢) .

وكان يقول : « الصلاة والزكاة من الايمان ، والايان
يزيد وينقص ، والناس عندنا مؤمنون مسلمون ، ولكن
الايان متفاوت ، وجبريل أفضل إيماناً منك (٣) » .

(١) الحلية (ج ٢٨/٧) .

(٢) الآية ٣٥-٣٦ من سورة الذاريات ، راجع الحلية (ج ٣٤/٧) .
وانظر تفصيل ذلك في « جامع العلوم والحكم » للحافظ ابن
رجب (ص ٢٣) وما بعدها .

(٣) الحلية (ج ٣٣/٧) .

ويقول : الايمان كالسروال : إذا شئت لبسته ، وإذا شئت خلعته .

وكان يرى قدم القرآن الكريم وأزليته ، فيقول في ذلك :
 « من زعم أن - قل هو الله أحد - مخلوق ، فقد كفر بالله عز وجل (١) » .

ومن أقواله في العقيدة :

« من كره أن يقول أنا مؤمن إن شاء الله ، فهو عندنا مرجيء » ، ويقول :

« أرج كل شيء مما لا تعلم إلى الله ، ولا تكن مرجئاً ، واعلم أن ما أصابك من الله ولا تكن قدرياً (٢) » .

وكان يجري نزول الله عز وجل الوارد في الأحاديث كما جاء بلا كيفية ولا تعرض لتأويل - كما هو مذهب جمهور السلف الصالح (٣) - .

(١) الخلية (ج ٣٠/٧) .

(٢) » (ج ٣٢/٧) .

(٣) نيل الأوطار للشوكاني (ج ٦٣/٣) .

وسفيان لا يتحكم في أمور المباد ومآلهم ، فيكل أمرهم إلى الله ، وبأخذ بالظاهر ، ويسأل الله لهم السلامة والنجاة ، فمن قوله :

« الناس عندنا مؤمنون في النكاح والطلاق والأحكام ، فأما عند الله فلا ندري - نحن أهل الذنوب - » (١) .

ويقول :

« نسمع التشديد فنخشى ، ونسمع اللين فترجوه لأهل القبلة ، ولا تقضي على الموتى ، ولا نحاسب الأحياء ، ونكل ما لا نعلم إلى عاله ، وتهم رأينا لرأيهم » (٢) .

موقفه من أهل البدع :

أ - موقفه من المرجئة (٣) :

يقول سفيان : « خالفنا المرجئة في ثلاث : نحن

(١) الحلية (ج ٢٦/٧) .

(٢) « (ج ٢٩/٧) .

(٣) المرجئة : طائفة نسبت إلى الإرجاء بمعنى التأخير ، وهو تأخير العمل عن الإيمان ، وافترقت إلى فرق عديدة . انظر في ذلك كتاب الفرق بين الفرق للأسفرائيني ص ٢٠٢ ، وغيره ...

نقول : الايمان قول وعمل ، وهم يقولون : الايمان قول
بلا عمل ، ونحن نقول : يزيد وينقص ، وهم يقولون :
لا يزيد ولا ينقص . ونحن نقول : نحن مؤمنون بالاقرار ،
وهم يقولون : نحن مؤمنون عند الله (١) .

وكان سفيان يعتمد عنهم ولا يصلي عليهم ، روى
أبو نعيم بسنده : « أنه لما مات عبد العزيز بن أبي رواد ،
وحمل ووضع عند باب الصفا ، صف الناس وجاء الثوري ،
فقال الناس : جاء الثوري ، جاء الثوري . حتى خرق
الصفوف والناس ينظرون إليه ، فجاوز الجنازة ولم يصل
عليه لأنه كان مرجئاً (٢) » .

كما كان يحذر منهم ولا يكتب عنهم ، فقد أخبر عن
نفسه : أنه لما قدم الري وعليها - الزبير بن عدي - فكتب
عنه خمسين حديثاً ، ثم مر بمجران وبها - جواب التيمي -
فلم يكتب عنه ، وسئل أبو نعيم : لم لم يكتب عنه ؟
قال : لأنه كان مرجئاً .

٢ - موقفه من القدرية (١) :

فقد كان سفيان يحذر القدرية كحذره من غيرهم من أهل البدع والأهواء .. وكان يقول :

« واعلم ما أصابك من الله ولا تكن قدرياً (٢) » .
 حتى كان يرى عدم جواز الاقتداء بهم في الصلاة ،
 روى أبو نعيم أنه قيل لسفيان : رجل يكذب بالقدر أصلي وراءه ؟ قال : لا تقدموه ، قال : هو إمام أهل القرية ليس لهم إمام غيره ؟! قال : لا تقدموه لا تقدموه وجعل يصيح (٣) .
 وكان يحذر في الرواية عنهم ، روى ابن أبي حاتم :
 أن سفيان سئل عن - ثور بن يزيد الشامي - فقال :
 خذوا عنه ، واتقوا قرنيته - يعني أنه كان قدرياً (٤) - .

. . .

(١) القدرية : هي طائفة جحدت القدر ، بمعنى أن الناس يقدرون على أكسابهم دون دخل لصنع الله وتقديره ، قال في القاموس :
 والقدرية جاحدوا القدر ، انظر الفرق بين الفرق للأسفرائيني ص ١١٥ .

(٢) الخلية (ج ٣٢/٧) .

(٣) « (ج ٢٦/٧) .

(٤) مقدمة الجرح والتعديل ص ٧٤ ، والتهذيب في ترجمة (نور ابن يزيد) .

٣ - موقفه من الشيعة :

موقف سفيان الثوري من - علي رضي الله عنه -
هو موقف أهل السنة والجماعة ، فانه يفضل عليه أبا بكر
وعمر ، ولكنه لا ينقصه حقه ...

إلا أن أبا نعيم وغيره رووا أنه كان يرى غير ذلك ،
ولكنه عاد إلى الصواب واستقر رأيه عليه :

قال أبو نعيم :

« كان رأي سفيان الثوري رأي أصحابه الكوفيين ،
يفضل علياً على أبي بكر وعمر ، فلما صار إلى البصرة ،
رجع عنها وهو يفضل أبا بكر وعمر على علي (١) - رضي
الله عنهم جميعاً - .

ولعل هذا التحول في موقف سفيان يفسر لنا اختلاف
الروايات عنه في ذلك ، إذ وصفه بعضهم بأنه شيعي ، ويراها
آخرون بأنه زيدي (٢) ...

إلا أن سفيان أصبح يتشدد في التمسك برأيه الأخير ،

(٢١) الحلية (ج ٣١/٧) والطبري في الذيل المذيل ص ١٠٥ ،

انظر مقدمة تفسير الثوري ص ١٦ .

ويدعو إليه ، ويرى لزومه ، ويقول :

« منعنا الشيعة أن نذكر فضائل علي ، - أي :
لئلا يتوغل الناس في التشيع له ، وكراهية الصاحبين رضي
الله عنهم أجمعين .

وكان يقول :

« من قدّم علياً على أبي بكر وعمر ، فقد أزرى
بالمهاجرين والأنصار ، وأخشى أن لا ينفعه ذلك عمل (١) .»

ومن قوله أيضاً :

« من قال عليٌّ أحق بالولاية من أبي بكر وعمر ،
فقد خطأ أبا بكر وعمر وعلياً والمهاجرين والأنصار (٢) .. » .

وكان سفيان حكيماً معالجاً لداء التشيع ، روى
أبو نعيم أنه كان - نعم المداوي - إذا دخل البصرة حدث
بفضائل علي ، وإذا دخل الكوفة حدث بفضائل عثمان (٣) .»

وكان يقول : « إذا كنت في الشام فاذكر مناقب

(١) الحلية (ج ٢٧/٧) .

(٢) « (ج ٣١/٧) .

(٣) « (ج ٢٧/٧) .

علي ، وإذا كنت في الكوفة فاذكر مناقب أبي بكر وعمر^(١) .
 وروى عنه أيضاً أنه كان يقول : « لا يجتمع حب
 عثمان وعلي إلا في قلوب نبلاء الرجال^(٢) » .

وقد ذكر أبو نعيم : أن سفيان الثوري : ذكر
 عند عاصم بن محمد - فذكروا مناقبه حتى عدوا خمس عشرة
 منقبة ، فقال : فرغتم ؟ إني لأعرف فيه فضيلة أفضل من
 هذه كلها : سلامة صدره لأصحاب محمد ﷺ^(٣) .

. . .

٤ - البدع وأقواله فيها :

يقول سفيان :

« البدعة أحب إلى إبليس من المعصية ، المعصية
 يتاب منها ، والمعصية لا يتاب منها^(٤) » .

(١) الحلية (ج ٢٧/٧) .

(٢) » (ج ٣٢/٧) .

(٣) » (ج ٢٧/٧) .

(٤) » (ج ٢٦/٧) .

ويقول :

« من أصنى سمعه إلى صاحب بدعة ، فقد خرج من عصمة الله تعالى (١) » .

ويقول :

« لا يستقيم قول إلا بعمل ، ولا يستقيم قول وعمل إلا بنية ، ولا يستقيم قول وعمل ونية إلا بموافقة السنة (٢) » .

ويقول :

« إذا أحببت الرجل في الله ، ثم أحدث حدثاً في الاسلام فلم تُبغِضْهُ عليه ، فلم تحبه في الله (٣) » .

إلى غير ذلك من أقوال عديدة تبين لنا نقور سيفيان من البدع ، وتنفيذه منها ومن أصحابها ...

- - -

(١) الحلية (ج ٢٦/٧) .

(٢) « (ج ٣٢/٧) ، و « لسان التيزان » (١٥٠/١)

وأصله لابن مسعود رضي الله عنه ، أسنده إليه ابن أبي الدنيا

كما في « حاشية العدة » (٧٠/١) للصناعات .

(٣) مقدمة الجرح والتعديل ص ٩٠ .

التفسير

١ - معرفته بالقرآن الكريم وتفسيره :

إن أقوال سفيان الثوري في التفسير ، وما نقل عنه فيه ، وأخبر به عن نفسه ، يظهر لنا مكانة سفيان التفسيرية ، وسعة علمه بالقرآن الكريم ...

فكثيراً ما كان سفيان يقول لمن حوله من الناس :

« سلوني عن القرآن وغير ذلك من العلوم » ، كما روى ابن أبي حاتم عنه : أنه قال : « سلوني عن المناسك والقرآن فاني بها عالم^(١) » .

وحدثنا تلميذه - وكيع - أن سفيان كان يصحح تفسير ابن أبي نجيح^(٢) .

ويقول عبد الرحمن بن مهدي :

« كان سفيان يأخذ المصحف فلا يكاد يمر بآية إلا

(١) مقدمة الجرح والتعديل ص ١١٧ .

(٢) « د د د » ص ٧٩ .

فسرها ، فربما مر بالآية فيقول : أي شيء عندك في هذه الآية ؟ فأقول : ما عندي فيها شيء ، فيقول : تضع مثل هذه لا يكون عندك فيها شيء (١) !! ، .

٢ - طريقته في التفسير :

تقد سلك سفيان في تفسيره طريقة أسلافه السابقين الذين اعتمدوا على الآثار الثابتة في ذلك ، دون محاولة لتفسير الباقي بآرائهم ، فكفوا لا يفسرون من الآيات إلا ما احتاج إلى تفسير ، ولا يتعرضون لكلام فيه إلا حيث يعرض الاشكال فيوضحونه بما ثبت عندهم من أخبار ...

وبلى هذا يشير ما رواه ابن أبي حاتم عن وكيع أنه قال:

« كان سفيان لا يجيبه هؤلاء الذين يفسرون السورة من أولها إلى آخرها مثل الكلبي (٢) » .

كما قد في مكان آخر : « ويحجبه من التفسير ما كان حرفاً حرفاً (٣) » .

(١) مقدمة الجرح والتعديل ص ١١٦ .

(٢) (٣) « » « » ص ٧٩ .

وقد قال الأستاذ الدكتور عبد الحليم محمود معللاً هذا الاتجاه :

« وإذا فر الانسان القرآن كلمة كلمة ، وآية آية ، وسورة سورة على هذا النسق الحالي فقد قيد القرآن - في وهمه وفي وهم من تبعه - بفكرته ، بثقافته ، بعقليته ، بهواه إن كان صاحب هوى .

وما من شك في أن أسلوب القرآن يتحكم في المفسر ولكن المفسر مهما حاول أن يستجيب إلى أسلوب القرآن فإنه يجد مجالاً للتأويل حتى يصل إلى ما يراه - بحسب مستواه - أنه حق ... ثم قال :

ومن أجل هذه النظرة ، ومن أجل ترك أبواب الالهامات يوحىها القرآن كل يوم لقارئه ، لم يفسر رسول الله ﷺ القرآن كلمة كلمة ، وآية آية ، وسورة سورة ، وإنما هي كلمة من هنا وآية من هناك بحسب الظروف والمقتضيات ، وانظر مثلاً كتاب التفسير في صحيح البخاري أو في صحيح مسلم أو في غير ذلك من كتب الصحاح فستجد أن تفسير رسول الله ﷺ إنما هو على ما ذكرنا ، ولم يحاول كبار الصحابة تفسير القرآن الكريم على الوضع

المؤلف عندنا الآن ... (١) ، .

ولعل وقوف القارئ على بعض أقواله في التفسير ،
أو على تفسيره كله ، يؤكد له هذه الطريقة التي سلكها
سفيان في تفسير القرآن ، وأنها كانت مناسبة لعصره كل
المناسبة ...

ولعل بعد المسلمين - اليوم وفي العصور المتأخرة - عن
معاني القرآن ، وضعف فهمهم للسان العربي المبين جعل
العلماء يعدلون عن هذه الطريقة التفسيرية إلى التفسير الكامل
ففسروه من أول حرف لآخر حرف ...

٣ - آثاره في التفسير :

ثم أقف أثناء بحثي عن سفيان على آثار خاصة له في
التفسير ، سوى بعض الآراء المتفرقة ، والروايات المعدودة
من هنا وهناك .

ولكنني وأنا أهمل رسالتي هذه للطبع أتحفني بالاطلاع
على تفسير الثوري فضيلة أستاذي الجليل الشيخ عبد الفتاح

(١) انظر كتابه (سفيان الثوري أمير المؤمنين في الحديث) ص ١٢٥
وس ١٢٦ .

أبو غدة ، وأطلعني على نسخته الخاصة به في الرياض - ففكفت على دراسته أياماً - جزاه الله عني كل خير - .

ولقد قام بتحقيق هذا التفسير الكريم الأستاذ الفاضل: امتياز علي عرشي - مدير مكتبة رضا ، رامبور ، الهند ، وحققه تحقيقاً وافياً وراجع نصوصه ، وزينه وذيله بفبارس عديدة مفيدة ، وأخرجه للناس في حلة قشبية والحمد لله ، فكان له الفضل الكبير في إحياء جانب هام من آثار هذا الامام الجليل ، - جزاه الله عن الاسلام كل خير - وقد طبع هذا الكتاب باسم « تفسير القرآن الكريم » للامام أبي عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي وذلك عام /١٣٨٥/ هـ بإعانة وزارة المعارف الهندية ، وذلك في مجلد يقارب /٥٠٠/ صفحة (١) .

وسأكتفي في هذا المقام بعرض نماذج لأقواله في التفسير اخترتها من كتاب تفسير الثوري ، لتظهر للقارئ الكريم جوانب طريقته التفسيرية ، وإن كان لا يفي في هذا المقام إلا الاطلاع على هذا الكتاب القيم بكامله ...

(١) وهذا التفسير للامام الثوري ذكره حاجي خليفة في « كشف الظنون » (١ / ٤٤٤) فقال : « تفسير الثوري ذكره الثعلبي » .

فمن أقواله في التفسير :

قوله وهو يتحدث عن الآيات الأولى من سورة البقرة:

« نزلت أربع آيات من أول البقرة في نعت المؤمنين وآيتان في نعت الكافرين ، وثلاث عشرة آية في نعت المنافقين (١) ».

وقال في قوله عز وجل « وقودها الناس والحجارة » أي : حجارة من كبريت ، وهو قول ابن مسعود رضي الله عنه (٢) .

وعنه في قوله تعالى : « وآتوا به متشابهاً » قال : لونه واحد ، مختلف طعمه (٣) . وعنه في قوله تعالى : « الصابئين » قال : بين اليهود والمجوس ، لادين لهم (٤) . وعنه في قوله تعالى : « ولتجدنهم أحرص الناس على حياة » قال : اليهود ، وهو قول ابن عباس (٥) . وعنه في قوله

(١) س ١ من تفسير القرآن الكريم للثوري ، وهو أول ما بدأ به تفسيره ...

(٢ و٣) س ٢ من تفسير القرآن الكريم للثوري .

(٤) ص ٦ من تفسيره .

(٥) ص ٧ » »

تعالى : « وما كان الله ليضيع إيمانكم » ، قال : صلاتكم ، قل
سفیان : فقيل للنبي ﷺ : فكيف يصنع بمن قد مضى
من أصحابنا ؟ يعنون من قد صلى إلى بيت المقدس فمات ؟
فنزلت : « وما كان الله ليضيع إيمانكم ... » (١) . وعنه في
قوله تعالى : « فمن خاف من موصٍ جنفاً أو إثماً » ، قال :
جنفاً : خطأً ، « أو إثماً » عمداً (٢) . وعنه في قوله تعالى :
« وإن كنتم من قبله لمن الضالين » ، قال : قبل القرآن (٣) .
وعنه في قوله تعالى : « وآتوا حقه يوم حصانه » ، قال : لما
نزلت ، جعل ثابت بن قيس بن شماس لا يجيء أحد إلا أعطاه ، فنزلت
« ولا تترفوا إنه لا يجب المرفين » . ابق ليالك (٤) .
وعنه في قوله تعالى : « سيأثم في وجوههم من أثر السجود.. »
قال : الخشوع والتواضع (٥) .
إلى غير ذلك من أقوال مجموعة في تفسيره الذي
أشرت إليه .

(١) ص ١٢ من تفسيره .

(٢) ص ١٦ »

(٣) ص ٢٥ »

(٤) ص ٦٨ »

(٥) ص ٢٣٩ »

المَحَدِيثُ

١ - طلبه الحديث وروايته له :

كان سفیان الثوري يرى أن طلب العلم والحديث أفضل شيء بعد الفرائض ، فلا زاه يترك مجالاً باستفاد منه في هذا الميدان إلا استفاد ، ولا يتعرف على شخص إلا ويسأله ويحاول الاستفادة منه ، وكان يتنقل من محدث إلى آخر ليسمع منه ويروي عنه ...

وإن مواظبته على استماع حديث أستاذه - الأعمش - واهتمامه بذلك جعلته أدقَّ بمحدث الأعمش من الأعمش نفسه .

وهناك أخبار كثيرة تروي لنا اهتمام سفیان بالحديث الشريف ، والسند ، فقد كان يسمى أصحاب السند : أصحاب السلاح .

وروى ابن أبي حاتم في تقدمته عن يحيى بن سعيد القطان قال : كان سفیان ماشئاً من صلاة وقراءة ، فإذا جاء الحديث فكأنه ليس الذي كان .. (١) .

وذكر عبد الرحمن بن مهدي قال : « كنا نكون
عند سفيان فكأنه قد أوقف للحساب فلا نجترى أن نكلمه ،
فنعرض بذكر الحديث فيذهب ذلك الخشوع ، فأبنا هو :
حدثنا ، حدثنا (١) » .

وكان كثيراً ما يرغب في الحديث وإملائه ، فقد حدث
وكيع : أنه رأى سفيان أُملى على رجل شيئاً ، فقال :
هذا خبرٌ لك من ولايتك الري (٢) .

ورؤي مرة بصنعاء يملي على صبي ويستملي له ... (٣)

وقد خرج سفيان مرة من البيت ، وكان على الباب
جماعة من الشباب يتدارءون في النسخ (٤) ، فقال :
يامعشر الشباب : تعجلوا بركة هذا العلم ، فإنكم لاتعلمون
هل تبلغون ماتأملون منه ، ليفد بعضكم بعضاً (٥) » .

وكان سفيان يحيب طالب الحديث ، ويولي من يريده

(١) الحلية (ج ٦ / ٣٧١) .

(٢) الحلية (ج ٦ / ٣٧٠) .

(٤) أي يتدافعون الكتابة ويفضل كل واحد منهم السماع ، وذلك
من درأ الشيء إذا دفعه .

(٥) الحلية (ج ٦ / ٣٧٠) .

في أي حال كان دون تلكؤ ، روى ابن أبي حاتم : أنه قيل لسفيان قبل خروجه إلى البصرة :

« لو جلست لنا مجلساً ؟ فاستقبل القبلة ثم ابتدأ فكتب عنه الوليد بن عقبة الشيباني ثلاثمائة حديث في تلك الجلسة (١) » .

ولم يزل سفيان يطلب الحديث والتحديث حتى أصبح ذلك ضرورة من ضرورات حياته ، حتى إنه عندما كان في البصرة مختفياً من السلطان الذي يلاحقه ، كان سفيان يطلب العلماء إليه ، ويدعوهم إلى محبته ليحدثوه ويأخذ عنهم ، ويذاكرهم .

قال سليمان بن المغيرة البصري :

« قدم علينا سفيان الثوري ، فأرسل إلي : إنه بلغني عنك أحاديث وأنا على ماترى من الحال - أي من الملاحقة - فأتيتني إن خِفَّ عليك ، قال : فأتيته فسمع مني ، وقال : وفعل ذلك بغير واحد من أصحابي (٢) » .

وروى ابن أبي حاتم : « أن سفيان جعل على نفسه

لكل ليلة جزءاً من القرآن وجزءاً من الحديث ، قال :
 فيقرأ جزءاً من القرآن ، ثم يجلس على الفراش فيقرأ
 جزءاً من الحديث ، ثم ينام ، وهكذا في كل ليلة...^(١)

ومن هذه الأخبار وأمثالها تظهر لنا شخصية سفيان
 الطالبة للحديث والمهتمة به ، ولا عجب ، فإن الحديث عماد
 العلم وأساسه ، فهو القائل « العلم بالآثار »^(٢) .

وهو الذي يرى أن على الوالد إجبار ولده على طلب
 الحديث وتعلمه لأنه مسئول عنه^(٣) .

٢ - طريقته في تحمل الحديث وأدائه :

التثبت في تحمل الحديث وروايته صفة أساسية في
 محدثنا الثوري ، فكان يحرص على السماع ، ويتثبت في روايته
 عن غيره ...

يقول عبد الرحمن بن مهدي :

« كنت مع سفيان الثوري عند عكرمة ، فجعل

(١) مقدمة الجرح والتعديل ص ١١٦ .

(٢) الحلية (ج ٦ / ٣٦٧) .

(٣) الحلية (ج ٦ / ٣٦٥) .

يوقفه على كل حديث على السماع^(١) .
 وروى أيضاً : أنه شهد سفیان عند - العمري -
 فجعل يوقفه في كل حديث ، توقيفاً شديداً^(٢) .

وروى ابن أبي حاتم عن يحيى القطان قال : شهدت
 سفیان يقول لأبي الأشهب : قل سمعت ، قل سمعت^(٣) ..

وعن عبد الرحمن بن مهدي قال : قال لي سفیان
 الثوري بنى : مُرَّ بنا إلى عكرمة بن عمار اليامي ، قال :
 فجعل يئلي على سفیان ، ويوقفه عند كل حديث : قل :
 حدثني ، سمعت ...^(٤)

وكان لا يقبل كتابة حديث لم يتأكد منه ، روى
 يحيى القطان قال : إنه كان إذا حدثني بالحديث فلم يتقنه
 قال : لا تكتبه^(٥) .

وكان يرى جواز الرواية بالمعنى ، ويعتبره هو الأغلب ،
 ورعاً من أن يظن به لفظ النبوة .

(٢١) المقدمة ص ٦٨ ، وانظر الميزان للذهبي (ج ٩١/٣) .

(٣) المقدمة ص ٨٢ .

(٤) » ص ١١٧ .

(٥) » ص ٦٧ .

روى أبو نعيم (١) : قال صاحب لسفيان : يا أبا عبد الله :
حدثنا كما سمعت ، فقال : لا والله ما إليه سبيل ، وما هو
إلا المعاني . وكان يقول :

« لو قلت لكم إني أحدثكم كما سمعت فلا تصدقوني » .

وحدث عن نفسه قال : « إني لأكتب الحديث من
سبعة أوجه ، المعنى واحد (٢) » .

وكان سفيان يختار عقلاء الناس ونهأهم ليروي لهم
الحديث إعلاءً له وترفعاً به عن سُفُل الناس .

روى أبو نعيم عنه : أنه كان لا يحدث النبط ولا
سُفُل الناس (٣) .

وكان يقول :

« إنما العلم أخذ عن العرب ، فإذا صار إلى النبط
وسفل الناس قلبوا العلم (٤) » .

. . .

(١) الخلية (ج ٦ / ٢٧٠) .

(٢) الخلية (ج ٧ / ٧٢) .

(٣ و ٤) الخلية (ج ٦ / ٣٦٩) .

٣ - حفظه :

نقد كان محدثنا سفيان آيةً من الآيات في الحفظ ،
فلقد أوتي حافظاً نادرة المثال ، وكان يقول عن نفسه
- وهو الثقة الصادق - : « ما استودعت قلبي شيئاً قط
نخافه (١) » .

وإن حفظه الدقيق المتميز عن غيره دعا أقرانه من
العلماء الكبار ، والحفاظ في عهده يفردونه بذلك ، فيقول
عبد الرحمن بن مهدي :

« قدمت على سفيان بن عيينة فجعل يسألني عن الحديثين ؟
فقال : ما بالمرأث أحد يحفظ الحديث إلا سفيان الثوري (٢) » .
وقال يحيى بن سعيد القطان : « مارأيت أحداً أحفظ
من سفيان الثوري » .

وحدث ابن المديني : عن عبد الرحمن بن مهدي أنه
كان يقول :

« كان وهيب يقدم سفيان في الحفظ على مالك (٣) » .
ويقول شعبة عنه : « إذا خالفني سفيان في حديث ،
فالحديث حديثه ، وكان إذا حفظ الشيء لم يبال من خالفه (٤) » .

(١ و ٢ و ٣) مقدمة الجرح والتعديل ص ٦٣ .

(٤) مقدمة الجرح والتعديل ص ٦٥ .

وحدث وكيع : أن شعبة ذكر حديثاً عن أبي إسحق ،
 فقال رجل : إن سفيان خالفك فيه ، فقال : دعوه ،
 سفيان أحفظ مني (١) .

وكان الامام أحمد بن حنبل يقول : « سفيان أحفظ
 للإسناد وأسماء الرجال من شعبة (٢) » .

وقال يحيى بن سعيد القطان : قال لي سفيان بعد
 ثماني عشرة سنة أو تسع عشرة سنة : في حديث عمرو بن
 مرة : هذا أليس قد حدثك به مرة (٣) .

وعن شعبة أنه قال :

« ما حدثني أحد عن شيخ إلا إذا سأله - يعني
 ذلك الشيخ - يأتي بخلاف ما حدثت عنه ، ما خلا سفيان
 الثوري ، فإنه لم يحدثني عن شيخ إلا إذا سأله وجدته على
 ما قال سفيان (٤) » .

روى الخطيب البغدادي عن عبد المؤمن بسنده قال:
 سمعت أبا علي يقول : سفيان أكثر حديثاً من شعبة وأحفظه ،

(١) مقدمة الجرح والتعديل ص ٦٥ .

(٢ و ٣) » » » ص ٦٦ .

(٤) » » » ص ٦٧ .

يبلغ حديثه ثلاثين ألفاً (١) .

وقد مر معنا أن الأشجعي روى عن سفيان ثلاثين ألف حديث (٢) .

وأختم حديثي عن حفظ سفيان بقول ابن المبارك رحمه الله :

« تبا لمن خالف سفيان الثوري في الحديث - وإن كان محقاً - » (٣) .

ويكفي هذا من إمام مثل عبد الله بن المبارك ، ولو أردت جمع ما قيل في حفظه وقوه ذاكرته ، لاحتجت إلى رسالة خاصة في ذلك ، وسنرى الآن زيادة على ذلك في الفقرة التالية :

. . .

٤ - معرفة الثوري بحديث الأعمش :

الثوري : أحفظ أصحاب الأعمش بشهادة أجمع عليها تقريباً علماء الحديث حتى الأعمش نفسه .

(١) تاريخ بغداد (ج ١٧١/٩) .

(٢) انظر عنوان تلامذته من هذه الرسالة .

(٣) مقدمة الجرح والتعديل ص ٦٨ .

فقد روي عن كثير من الأئمة كيجي بن معين وغيره ذلك القول (١) .

وأخبر الحسين بن عياش قال : كنا نأتي سفيان إذا سمعنا من الأعمش ، فنعرضها عليه بالمشي ، فيقول : هذا من حديثه ، وليس هذا من حديثه (٢) .

وقال زائدة : كنا نأتي الأعمش فيحدثنا فيكثر ، ونأتي سفيان الثوري فنذكر تلك الأحاديث له ، فيقول : ليس هذا من حديث الأعمش ، فنقول : هو حدثنا به الساعة ، فيقول : اذهبوا فقولوا له إن شئتم ، فنأتي الأعمش ، فنخبره بذلك ، فيقول : صدق سفيان ، ليس هذا من حديثنا (٣) .

وإن كثرة هذه الحوادث جعلت كثيراً من الأئمة يرى تقدم سفيان على الأعمش نفسه في حديثه ، حتى قال يجي بن سعيد :

« كان سفيان أعلم بحديث الأعمش من الأعمش (٤) » .

(١) المقدمة ص ٦٤ .

(٢) » ص ٧٠ .

(٣) » ص ٧١ .

(٤) تاريخ بغداد (ج ١٦٧/٩) .

٥ - علمه بالرجال :

كان سفيان ذا علم واسع بالرجال ، حتى كان الامام أحمد رحمه الله يفضلّه في ذلك على شعبة ويقول :

« سفيان أحفظ للاسناد وأسماء الرجال من شعبة (١) ».

وكان سفيان يقول في - جابر الجعفي - : إذا قال جابر حدثنا وأخبرنا فذلك (٢) .

وروى عنه عبد الرحمن بن مهدي أنه قال :

« كان جابر ورعاً في الحديث ، مارأيت أروع في الحديث من جابر » .

كما يقول في إبراهيم بن مهاجر : - لا بأس به - .
ويقول :

« ما خلفت بعدي بالكوفة آمن على الحديث من منصور ابن العتمر » . وكان يزكي - المعافي بن عمران - ويقول عنه : ياقوتة العلماء (٣) .

(١) مقدمة الجرح والتعديل ص ٦٥ .

(٢) " " " " ص ٧٤ .

(٣) " " " " ص ٧٥ .

وقال سفيان مرة لمن حوله :

« أخرج إليكم كتاب خير رجل بالكوفة ، فقال من حوله يخرج كتاب منصور ، فأخرج كتاب - محمد بن سوقة - .

وكان سفيان مرة في المسجد الحرام فمر - عبدالوهاب ابن مجاهد - فقال سفيان : هذا كذاب .

ويقول عن - أبان - كان نسياً للحديث .

إلى غير ذلك من أقوال تكثر في كتب الرجال ، اكتفيت ببعض ما نقله ابن أبي حاتم في تقدمته عن ذلك^(١) .

- - -

(١) مقدمة الجرح والتعديل ص ٧٦ .

الفقهاء

١ - مكانته الفقهية :

بعد أن عرفنا سابقاً أن سفيان الثوري صاحب مذهب متبع معمول به عدة قرون ، ندع الجأك لأقوال أقرانه وعلماء زمانه تبين لنا مكانته الفقهية .

فهو ذو باع عظيم في فهم الحديث وفقهه ، فكان عالم رواية ودراية يتميز بذلك عن كثير من إخوانه العلماء والفقهاء .

روى أبو نعيم عن سليمان بن حيان ، قال : **كُنَّا** نصحب سفيان الثوري ، وقد سمعنا ممن سمع منه ، إنما يزيد منه تفسير الحديث (١) .

وهذا ابن عينة يقول عنه :

« مارأيت رجلاً أعلم بالحلal والحرام - وهو الفقه - من سفيان الثوري » (٢) .

(١) الخلية (ج ٦ / ٣٦٦) .

(٢) المقدمة ص ٥٥ .

وكان عبد الرحمن بن مهدي يقول :

« ثمة الناس في زمانهم أربعة : سفيان الثوري في الكوفة ، ومالك بالحجاز ، والأوزاعي بالشام ، وحماد بن زيد بالبصرة (١) » .

وكان زائدة يقول : كان سفيان أفقه الناس (٢) .

وقال محمد بن المعتمر : قلت لأبي سليمان : من فقيه العرب ؟ قال : سفيان الثوري (٣) .

وقد شهد له بذلك ابن المبارك ، فقال قبل وفاة سفيان بيومين أو ثلاثة : « ما أحد عندي من الفقهاء أفضل من سفيان بن سعيد (٤) » .

. . .

٢ - طريقته في استنباط الأحكام :

يظهر للباحث من تتبع أقوال الثوري في الفقه أنه

(١) المقدمة ص ١١٨ .

(٢) الحلية (ج ٣٥٧/٦) .

(٣) المقدمة ص ٥٧ .

(٤) تاريخ بغداد (ج ١٥٧/٩) .

يجمع بين ميزات مدرستين ، مدرسة الحديث ، ومدرسة الرأي .
فهو الذي يعمل فكره ورأيه في الاحكام ، واستنباطها من
الأدلة العقلية فيما لا يصح عنده حديث فيها .

وهو الذي يوصي بالآثار ، ويعتمد عليها قبل كل
شيء ، ومما يدل على هذا قول الفضل بن موسى الشيباني :
قال الثوري :

« تعلموا هذه الآثار فمن قال برأيه ، فقل رأيي مثل
رأيك (١) » .

وروى ابن المبارك عنه أنه قال : « إنما العلم بالآثار (٢) » .
وكان يراعي أحوال الناس وحاجاتهم في أحكامه ، ويرى
أن الفقيه العالم هو الذي يراعي ذلك ، فيقول :

« إنما العلم عندنا الرخص عن الثقة ، فأما التشديد
فكل إنسان يحسنه (٣) » ، وكان يتبع في طريقته مذهب أصحاب
عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، يقول علي بن المدبني : « أصحاب
عبد الله بن مسعود ستة الذين يقرؤون ويفتون ، ومن بعدهم

(١ و ٢ و ٣) الحلية (ج ٦ / ٣٦٧) .

أربعة ، ومن بعد هؤلاء سفيان الثوري ، كان يذهب مذهبه ،
ويقتي بفتواهم ، وكان أعلم الناس بأبي أسحق والأعمش
بحديثهم وطريقتهم^(١) .

وكان يقر الرأي والاختلاف فيه ، ولا تضيق نفسه
من الآراء الفقية والاجتهادات العلمية المختلفة ، وقد ذكر
عنه قوله :

« لا تقولوا اختلف العلماء في كذا ، ولكن قولوا: وسع
العلماء على الأمة في كذا » . ويقول :

إذا رأيت الرجل يعمل العمل الذي قد اختلف فيه ،
وأنت ترى غيره فلا تنه^(٢) .

كما كان محتاط في الفتوى ، ويحسب لها حساباً ، فعن
مروان بن معاوية قل :

« شهدت سفيان الثوري وسأله عن مسألة في الطلاق
فسكت ، وقال : إنما هي الفروج^(٣) » ،

ويظهر لنا جمع سفيان الثوري بين ميزات الطرفين ،

(١) المقدمة ص ٥٨ .

(٢) الحلية (ج ٣٦٨/٦) .

(٣) المقدمة ص ٩٧ .

من موافقاته الكثيرة التي سنراها في آرائه الفقهية أحياناً مع أصحاب الرأي من أبي حنيفة رحمه الله والكوفيين ... وتارة مع أصحاب الحديث كالأوزاعي وغيره من الحديثين ، وهو الذي يقول : فقهاؤنا ابن شبرمة ، وابن أبي ليلى (١).

ولعل الفضل في جمع سفيان الثوري بين الاتحادين والمدرستين ، يعود إلى شخصية سفيان الجامعة من جهة ، ونشأته في الكوفة - مقر مدرسة الرأي وعلمائها - وتنقلاته منها إلى الحجاز - مقر مدرسة الحديث وعلمائها - من جهة أخرى .

وقد مر معنا أنه عاش في الكوفة / ٤٨ سنة ، ثم رحل إلى الحجاز وقضى فيها ما يزيد على - ثمر سنوات ، مما جعل أثر مدرسة الحديث فيه واضحاً ، إلى أن تركها إلى البصرة في آخر أيامه .

. . .

٣ - شيء من أقواله في الفقه :

إن أقوال سفيان الثوري الفقهية لتنتشر في كتب الأدلة

والفقه ، وتحتاج إلى استقصاء واستقراء شديدين لجمعها وإبرازها منفصلة عن غيرها ...

ولقد كنت تتبع أثناء دراستي عن سفیان عدداً من الكتب العلمية ، وجمعت غير قليل من آرائه الفقهية مما لا يزال في رأيي بحاجة إلى متابعة أوفى .

وسأختصر في هذه الرسالة على ذكر جانب قليل من بعض أقواله ، لتكون نموذجاً حاضراً لفقهه ، سائلاً الله عز وجل أن يوفقني لمتابعة الموضوع ، اكلاً لخدمة هذه الشخصية العظيمة . من ذلك قوله في حكم بول الصبي :

« يكفي فيه بالنضح ، ولا يكفي ذلك في بول الجارية (١) » .

فهو في هذه المسألة كما يظهر يوافق ما ذهب إليه سيدنا علي من الصحابة ، وعطاء والزهري ، وأحمد وإسحق وابن وهب وغيرهم . كما يخالف فيما ذهب إليه الامام الأوزاعي وما حكى عن الامام مالك والشافعي رحمهم الله حيث يرون أن النضح يكفي فيها دون تفريق .

كما يخالف سائر الكوفيين في قولهم : أنه لا بد من الفصل في كل من بول الفلام والجارية .. وما ذلك إلا

(١) نيل الأوطار للشوكاني (ج ١/٦١) . الطبعة الأخيرة لمصطفى البابي الحلبي ...

وقوفاً عند بعض الأحاديث المفرقة بينها التي حكت عنده ،
ورواها أحمد وغيره (١) ..

ومن ذلك قوله في تقض الوضوء :
« أنه ينتقض الوضوء بكل نجاسة تسيل من الجسد
وتخرج منه من أي موضع خرجت ، كالدم والرعاف والقيء... » (٢) ،
ووافق في ذلك مذهب أبي حنيفة وأصحابه ، وأحمد
وبعض السلف ... وخالف في هذا مذهب الإمام الشافعي
وأصحابه الذين يرون أن الناقض خروج هذه النجاسة من
أحد السبيلين ...

ومن ذلك قوله في حد أكثر النفاس :
« إن أكثره أربعون يوماً ، لحديث أم سلمة رضي
الله عنها : كانت النفساء تجلس على عهد رسول الله ﷺ
أربعين يوماً » (٣) .

فوافق في ذلك اجتهاده اجتهاد عدد من الصحابة ، والشعبي

- (١) انظر تفصيل ذلك في نيل الأوطار (ج ١/ ٥٩) وما بعدها .
(٢) « بداية المجتهد (ج ١/ ٣٥) . ط . مكتبة الكليات
الأزهرية عام ١٣٨٦ هـ .
(٣) انظر نيل الأوطار (ج ١/ ٢٢١) .

والزني وأبي حنيفة وأحمد بن حنبل ومالك .
 وخالف فيه مذهب إليه الحسن البصري ، والشافعي
 وغيرهم .

ومن ذلك قوله في مياشرة الخائض :
 « أن على الرجل أن يتجنب موضع الدم فقط ، أخذاً
 من ظاهر قوله تعالى :
 « قل هو أذى » - والأذى يكون موضع الدم -
 وهو مذهب داود الظاهري .

وخالف فيه جمهور العلماء كما هو معلوم (١) .
 ومن ذلك قوله في المسح على الخفين :
 « يجوز المسح على الخفين مادام يسمى خفاً وإن
 كثر خرقه (٢) » ، وخالف في ذلك أكثر العلماء الذين اشترطوا
 أن يكون الخرق يسيراً ، وقدره بعضهم بثلاث أصابع ،
 وذلك لأن علة انتقال الفرض من الفسل إلى المسح - عند
 الثوري - هي لموضع المشقة لا لموضع الستر ، والتفريق
 بين الخرق الكثير والقليل إنما هو استحسان ، ويقول
 الثوري في ذلك :

(١) انظر بداية المجتهد (ج ٥٨/١) .

(٢) بداية المجتهد (ج ٢١/١) .

« كانت خفاف المهاجرين والأنصار لاتسلم من الخروق كخفاف الناس ، فلو كان في ذلك حظر لورد نقل عنهم ».

ومن ذلك قوله في رفع اليدين في الصلاة :

« أنه لايرفع يديه إلا في تكبيرة الاحرام فقط » (١)
فوافق في ذلك مذهب أبي حنيفة والكوفيين ، وخالف
ماذهب إليه الشافعي وأحمد وأبو ثور وجهور المحدثين ،
وسبب ذلك اختلاف الآثار الواردة في ذلك (٢) .

ومن ذلك قوله في الشفعة :

« تثبت الشفعة بالجوار » (٣) موافقاً بذلك أبا حنيفة
وابن أبي ليلى ، وابن سيرين ، ومخالفاً ماذهب إليه الجمهور
من عدم ثبوتها له وتخصيصها عندم بالشريك .

إلى غير ذلك من أقوال فقهية كثيرة في مختلف
أبواب الفقه ...

. . .

(١) بداية المجتهد (ج ١ / ١٣٦) .

(٢) راجع تفصيل ذلك في بداية المجتهد (ج ١ / ١٣٦ - ١٣٧) .

(٣) انظر نيل الأوطار (ج ٥ / ٣٧٣) .

٤ - شيء عن نبأته ودقته في الاستنباط :

لقد كان سفیان ذا ذكاء شديد على ما أوتي من علم وفير ، فكانت تلقى عليه المسائل ، فيحلها من ساعتها ، كما مر بنا في عنوان نبوغه العلمي .

وأكتفي هنا بما ذكره ابن أبي حاتم عنه يصور لنا دقته في الأحكام ونبأته في البحث عن أسبابها لما لها علاقة بأقواله الفقهية :

حدث ابن أبي حاتم بسنده عن الفرير قال :

« رأينا سفیان الثوري بالكوفة ، وكنا جماعة من أهل الخديث نزل في دار ، فلما حضرت صلاة الظهر ، دلونا دلواً من بئر في الدار ، فاذا الماء متغير ، فقال : ما بال ماثكم هذا ؟ قلنا : هو كذا منذ زلنا هذه الدار ، فقال : ادلوا دلواً من بئر الدار التي قبليكم ، فاذا ماء أبيض ، ثم قال : ادلوا دلواً من بئر الدار التي شريقكم ، فاذا ماء أبيض ، فقال : ادلوا دلواً من من بئر الدار التي شأمكم ، فاذا ماء أبيض ، فقال : ادلوا دلواً من بئر الدار التي غربكم ، فاذا

ماء أبيض ، فقال : إن لبثكم هذا لشأنا ، فحفرنا ، فأصبنا
 عرق كنيف ينز فيه ، فقال لنا : منذ كم نزلتم هذه الدار ؟
 قللنا أربع سنين ، فأمر بإعادة صلاة أربع سنين فيها ركعتي
 الفجر ، وركعتان بعد المغرب والوتر ... ، (١) .

- - -

(١) انظر مقدمة الجرح والتعديل ص ٦٠ .

الاختلافات

لقد أصبح علم الأخلاق علماً متميزاً عن غيره من العلوم ، فكتب فيه العلماء الكتب ، وصنفوا المجلدات الكبيرة فيه ، وكثيراً ما يعرف هذا العلم عند العلماء بعلم التصوف ، الذي يتعرض فيه لتهديب النفس ، والزهد ، وآداب السلوك . كما يترجم فيه للعلماء العاملين ، والزاهدين العابدين ...

ولقد مر معنا سابقاً أن سفيان يحتل في هذا المقام المنزلة الرفيعة عند العلماء ، ويعتبرونه قدوة لغيره في هذا الباب ...

فقد قال عنه ابن المبارك رحمه الله :

« تعجني مجالس سفيان الثوري ، كنت إذا شئت رأيت في الورع ، وإذا شئت رأيت مصلياً ، وإذا شئت رأيت غائصاً في الفقه (١) » .

ولما سئل الفضيل بن عياض رحمه الله عن ورعه ؟ أخبر أن قدوته في ذلك سفيان الثوري ...

(١) الحلية (ج ٦ / ٣٥٨) .

فلقد كان سلوك السلف الصالح ومنهم سفيان الثوري صورة صادقة للتصوف النقي السليم الذي زاه في كتب المتقدمين من الصوفية ، وفي أقوالهم وأخبارهم ، كتصوف الامام الحسن البصري المتوفى عام ١١٠ هـ ، وأبي إسحق إبراهيم بن آدم البلخي المتوفى سنة ١٦١ هـ ، وأبي سليمان داود ابن نصير الطائي المتوفى سنة ١٦٥ هـ ، وأبي علي الفضيل بن عياض الخراساني المتوفى بمكة سنة ١٨٧ هـ وغيرهم من الأئمة رضوان الله عليهم ...

وإذا إساء بعض أهل التصوف في القرون المتأخرة إلى التصوف ، وأدخلوا فيه بعض البدع والمنكرات ... فإن ذلك ينكشف أمره وزيفه إذا مارجنا إلى سيرة هؤلاء الأعلام الأوائل ، الذين اتفق على إمامتهم وقوتهم ... ولا أريد هنا أن أتوسع في الكلام عن هذا العلم ، وعن مكانة سفيان الثوري فيه ، لأنني أفردت باباً خاصاً بحياة سفيان العملية تحدثت فيه عن أحوال سفيان الثوري وآدابه وسلوكه .

وسيجد القارى الكريم في سيرة هذا الامام العملية ما يبطيه صورة واضحة عن سلوك السلف وأخلاقهم إن شاء الله.

الحِسَابُ

لقد مر معنا ونحن نتحدث عن العلوم عند سفيان ،
سفيان المفسر ، وسفيان المحدث ، والفقيه ... وها نحن الآن
نرى سفيان عالم الحساب .

كما مر معنا في بحثنا عن عصر سفيان العلمي اندماج
العلوم العقلية والفكرية بالعلوم الشرعية والنقلية ، ولقد كان
لهذا العصر أثر كبير في شخصية سفيان الجامعة لكل علم
من العلوم ...

وإن شهرة سفيان الثوري في الحساب ، ونباهة ذهنه
الرياضي دعت ابن أبي حاتم رحمه الله إلى أن يفرد لهذا العلم
باباً خاصاً في حديثه عن سفيان ، فنراه يقول في ترجمته :
« باب في معرفة سفيان الثوري بالحساب (١) » .

ثم يذكر بسنده عن محمد بن مهران الجمال ، يقول :
كان بالري رجلٌ يقال له - حجاج - وكان ينزل الأزدان ،
وكان حاسباً ، فقدم حجاج هذا على الثوري ، فسأله عن

(١) المقدمة ص ١٢٥ .

مسألة من الحساب ، فنظر إليه الثوري ، فقال : من أين أخذت هذه المسألة ؟ فان هذه المسألة لا يحسنها إلا رجل بالري يقال له حجاج ، قال : فأنا حجاج ، قال : فرحب به ثم ألقى عليه عشر مسائل من الحساب ، وجعل الثوري يعد ، ويحسب فيها حجاج ، فلما فرغ ، قال له الثوري : أخطأت فيها كلها (١) .

فهذه القصة إن دلت على شيء سوى دلالتها على معرفة سفيان بالحساب ، فإنما تدل على شهرته في هذا الفن أيضاً ، مما دعا حجاجاً إلى الوفود عليه وسؤاله له .. كما تدلنا على معرفة سفيان بأهل الحساب، وترحيبه بهم ومناظرته لهم. كما زى فيها أخيراً : تخطيط سفيان الحسابي البارع لحجاج المشهور بذلك ، وحسبنا هذا في بيان مكانة سفيان الحسابية ، ونباهته العقلية ...

الفصل الثالث

آثار سفيان

إن الأخبار التي وقفت عليها في ترجمة سفيان لتدلنا على كثرة تأليفه ، فقد روى ابن أبي حاتم بسنده عن أبي عبد الرحمن الحارثي قال :

« خاف سفيان شيئاً فطرح كتبه ، فلما أمن أرسل إليّ وإلى يزيد بن ثوير المرهبي ، فقال : أخرجوا الكتب فدخلنا البئر ، فجعلنا نخرجها ، فأقول : يا أبا عبد الله : وفي الركاز الخمس - وهو يضحك - .

فأخرجنا تسع قطرات كل واحد إلى هنا - وأشار أسفل ثنودته - قال : فقلت : أعزل كتاباً تحدثني به ؟ قال : فعزل لي كتاباً فحدثني به (١) ، .

وهناك روايات أخرى تشير إلى ذلك ، وأن سفيان دفن كتبه مدة خوفاً من السلطان الملاحق له - كما مر معنا في بحث رحله وتنقلاته - .

(١) مقدمة الجرح والتعديل ص ١١٥ .

كما ذكر صاحب الفكر السامي : أن الامام البخاري
ملاً صحيحه من الموطأ ، ومسندي السفينيين وغيرها (١) ،
يعني - سفیان الثوري ، وسفيان بن عيينة - ثم قال :

« ولم تكن - أي كتبهم - خاصة بأنفسهم بل نشروها
في عموم الناس ، فانتفعوا بها ، إلا أنها لم تبلغ مبلغ موطأ
مالك في الانتشار والتواتر وغير ذلك ... » (٢) .

وروى ابن أبي حاتم أن سفيان صنف مسنده في الكوفة.

وروى أبو نعيم في الحلية أن بشر بن الحارث قال :

« الذي أنا عليه ، بل كل الذي أنا عليه ، جامعٌ

سفيان » (٣) .

وروى أبو نعيم بسنده عن إبراهيم بن عيسى أنه قال :

« رأيت النبي ﷺ فيما يرى النائم فقال : « عليكم بجامع

سفيان » (٤) .

كما ذكر الزركلي في ترجمته : أن له : الجامع الكبير ،

(٢١) الفكر السامي ص ٢٨٦ .

(٣) الحلية (ج ٧ / ٣٦) .

(٤) « (ج ٦ / ٣٨٣) .

والجامع الصغير في الحديث ، وكتاباً في الفرائض (١) .

وقال ابن النديم في الفهرست :

« له من الكتب : الجامع الكبير يجري مجرى الحديث ، رواه عنه جماعة ، منهم : - يزيد بن أبي حكيم - وعبد الله بن الوليد العدني - وإبراهيم بن خالد - وعبد الملك الحيري - ومن غير أهل اليمن : الحسين ابن حفص الأصفهاني .

والجامع الصغير رواه جماعة ، منهم : - الأشعبي غسان بن عبيد - والحسين بن حفص الأصفهاني - والمعافى بن عمران الموصلي - وعبد العزيز بن أبان - وعبد الصمد بن حسان - وزيد بن أبي الزرقاء - والقاسم بن يزيد الجرمي .

وكتاب الفرائض ، ورسالة إلى عباد بن عباد الارسوفي في كتاب ... (٢) والذي يظهر من تتبع آثار « سفيان » أن له جامعاً آخر في الرأي .

فقد قال أبو العرب التميمي المتوفى ٣٣٣ في كتابه « طبقات علماء إفريقية وعلماء تونس » :

« روى جامع سفيان الكبير البهلول بن راشد عن علي بن زياد عن سفيان .

وحدثني محمد بن خالد عن أبيه قال : قال لنا البهلول بن راشد : قوموا بنا نذهب إلى ابن خارجة نسمع منه جامع سفيان

(١) الأعلام (ج ٣ / ١٥٨) .

(٢) الفهرست ص ٣٢٨ . وانظر مقدمة تفسير الثوري ص ٣١ وما بعدها ففيها تفصيل جيد لذلك .

الثوري - يعني جامعه في الرأي - (أ) (١)

ثم قال : إن محمد بن أبي الهيثم اللؤلؤي « حدثني عن أبيه عن
البهلول بن راشد عن علي بن زياد عن سفيان الثوري بجامع سفيان
الكثير الآثار .

وقد روي عن سفيان جامعاً له وسطاً ، آثار كله ، قال أبو
العرب : ولم أعلمه حمل عنه جامعه في الرأي » (٢)

وقد سبق لي أن تحدثت عن كتاب « تفسير الثوري » الذي
حققه وأخرجه الأستاذ امتياز علي عرشي مدير مكتبة رضا ، رامبور ،
الهند .

كما ذكر ابن النديم أيضاً : تحت عنوان :

- سبب يدل على أن أول من وضع في النحو كلاماً أبو
الأسود الدؤلي - قال :

« عن محمد بن إسحق : أن رجلاً نسي اسمه خصه باطلاعه
قبل وفاته بخطوط قديمة ، وأنه رأى من الجملة : من خطوط أصحاب
الحديث : خط سفيان الثوري وسفيان ابن عيينة ، ثم لما مات فقد
هذا القمطر » (١) .

وذكر عبد الرحمن بن مهدي أن خط سفيان كان خط
سوء (٢) .

(١) الفهرست ص ٦٧ .

(١) ص ١٢٦ - ١٢٧ .

(٢) الميزان للنحوي (ج ٩١/٣) .

(٢) ص ٢٢٠ .

الفصل الرابع

ثناء الأئمة عليه

ورى ابن أبي حاتم بسنده عن عبدالرحمن بن مهدي قوله :

« الناس على وجوه ، فمنهم من هو إمام في السنة إمام في الحديث ، ومنهم من هو إمام في السنة وليس بإمام في الحديث ، ومنهم من هو إمام في الحديث وليس بإمام في السنة فأما من هو إمام في السنة إمام في الحديث ، فسفيان الثوري^(١) .

كما روي عن شعبة ، ويحيى بن معين ، وابن عينة وغيره أنهم أطلقوا على سفيان « أمير المؤمنين في الحديث » .

وحدث يعقوب عن شعبة أنه قال : سفيان أمير المؤمنين في الحديث ، بعد أن حدث يعقوب حديثاً عن شعبة عن سفيان ، فقال يعقوب : كبير عن كبير^(٢) .

وكان زائدة - وهو من كبار علماء الحديث - يقول : « الثوري سيد المسلمين^(٣) » . وقال علي بن المديني :

« نظرت فإذا الاسناد يدور على ستة : الزهري ،
وعمر بن دينار ، وقتادة ، ويحيى بن أبي كثير ، وأبو اسحق
والأعمش ، ثم صار علم هؤلاء الستة من أهل الكوفة إلى
سفيان ، (١) .

وعندما بلغ - معمرأ - أن سفيان قادم إلى اليمن قال:
« قد قدم عليكم محدث العرب (٢) » .

وقال الامام أبو حنيفة رحمه الله عنه : « لو كان
سفيان في التابعين لكان فيهم له شأن (٣) » .

وقال : رحمه الله في فقدته لو مات سفيان في زمن
إبراهيم - يعني النخعي - لدخل على الناس فقدته (٤) .

وقال أبو بكر بن عياش :
« إني لأرى الرجل يحب سفيان فيعظم في عيني (٥) » .

كما قال الامام مالك رحمه الله :

-
- (١) مقدمة الجرح والتعديل ص ٦٠ .
(٢) « « « « ص ٥٧ .
(٣) تاريخ بغداد (ج ٦٩/٩) .
(٤) « « « « (ج ١٦٩/٩) .
(٥) مقدمة الجرح والتعديل ص ٨٥ .

« إنما كانت العراق تحيش علينا بالدرام والثياب ،
ثم صارت تحيش علينا بالعلم منذ جاء سفیان الثوري (١) .

وما أعظم قول الامام الأوزاعي فيه :
« لم يبق من تجتمع عليه الأمة بالرضا إلا سفیان (٢) .
وقول الامام أحمد رحمه الله وهو يتحدث عن سفیان:
« لم يتقدمه في قلبي أحد (٣) » .

إلى غير ذلك من أقوال في ثناء الأئمة عليه ، واعترافهم
له بالفضل ، إلا أننا مع هذا الثناء الكثير الواضح من
الأئمة على سفیان ، نجد في بعض كتب الجرح والتعديل
وغيرها أقوالاً في سفیان ، يحسن توضيحها والوقوف عليها
حتى لا تفهم على غير حقيقتها ...

فقد ذكر بعض من ترجم لسفیان الثوري أنه كان
من المدلسين ، وكان هذا القول وأمثاله سبب عثور أفراد
اعتمدوا عليه لأغراض مختلفة ، فحكوا بجرح سفیان ، وطعنوا
في روايته ...

(١) انظر تاريخ بغداد (ج ٩/١٦٤) ومقدمة تفسير الثوري ص ١٣ .

(٢) « مقدمة تفسير الثوري ص ١٣ .

(٣) « رسالة سفیان الثوري للدكتور عبدالحليم محمود ص ٦٣ .

وقبل تفنيد أقوالهم ، لابد لي من كلمة موجزة عن التدليس وأقسامه عند المحدثين فالحديث المدلس هو الذي دلس فيه الراوي بوجه من وجوه التدليس - الشيوخ أو الاسناد - . أما تدليس الشيوخ : فهو : وصف الشيخ بأوصاف كثيرة وألقاب وكنى عديدة قوم كثرة الشيوخ وتعدد ... وغير ذلك ...

وأما تدليس الاسناد : فهو رواية الراوي عن لقي مالم يسمع منه ، أو عمن عاصره ولم يلقه ، بلفظ موهم بالسمع منه ، وقسموه أنواعاً منها تدليس التسوية ... وتدليس التسوية هذا هو : أن يسقط الراوي شيخه أو من فوقه لكونه ضعيفاً أو صغيراً أو غير ذلك بقصد تحسين الحديث .

وقد قيل في سفیان الثوري : إنه من أهل تدليس التسوية ، لكن نقاه عنه بعضهم ، وجعل تدليسه من تدليس الشيوخ - وهو من حيث الجملة دون تدليس الاسناد - .

فنقل السيوطي : عن البيهقي في مدخله عن محمد بن رافع قال : قلت لأبي عامر : كان الثوري بدلس ؟ قال : لا ، قلت : أليس إذا دخل كورة - أي مدينة - يعلم أن

أهلها لا يكتبون حديث رجل ، قال : حدثني رجل ، وإذا عرف الرجل بالاسم كئنه ، وإذا عرف بالكنية سمّاه ؟ قال أبو عامر : هذا تزينٌ وليس بتدليس^(١) .

وبهذا أجاب ابن الوزير الباني عن تدليس سفيان وأمثاله فقال :

« إنه كان بدلس عن رجال يخاف من التصريح بأسمائهم فتنةً أكبر من ستر أسمائهم ، مع ملاحظة أن في هذا الحديث حكماً يجب العمل به لئلا من التوابع والشواهد وليس المدّسُ عنه من الضعف بمكان ، ولولا هذه الضرورة وأمثالها لما دلس أكبر الثقات من أهل الديانة والأمانة والنصيحة لله ولرسوله ﷺ ولجميع أهل الاسلام^(٢) .. » .

ومن هنا نجد في كتب الجرح والتعديل أقوال العلماء في توثيقه وتعميده مع إثبات هذا التدليس عنه ، فقد قال الذهبي في الميزان :

« سفيان بن سعيد (ع)^(٣) الحجة الثبت متفق عليه

(١) انظر التدريب ص ١٤٥ .

(٢) التقيع (ج ٣٦٨/١) .

(٣) هذا رمز لمن أخرج له أصحاب الكتب الستة .

مع أنه كان يدلّس عن الضعفاء ولكن له نقد وذوق ،
ولا عبرة بقول من قال : يدلّس ويكتب عن الكذابين^(١) .
ولئن كان في قول الذهبي إثبات لتدليسه ، فإن العلماء
اختلفوا في معنى قوله : « يدلّس عن الضعفاء » .

ففسرها ابن الوزير اليماني : بالضعفاء الذين ينجس
حديثهم بالشواهد ويجب العمل به ، وهذا بناء على قوله بأنه
« ليس كل ضعيف مجروحاً »^(٢) .

وخالفه في ذلك الشارح الصنعاني ، وقال : إن معنى
ذلك : يدلّس عن ضعفاء مجاريح غير كذابين ، ويقول
الصنعاني عن عدالة من يدلّس عن هؤلاء : يقبل من يدلّس
عنهم وإن كانوا مجاريح ، فهو جرح لا يخرجون به عن الاعتبار .
كما فسرهما الشيخ أحمد الصديق النميري رحمه الله :
بأن سفيان يدلّس عن الضعفاء عند غيره ، وفي حكم غيره
وميزانهم ... ويقول :

« يستفاد من قوله - الذهبي - « له نقد وذوق »

(١) الميزان (ج ١ / ٣٩٦) .

(٢) تنقيح الأفكار (ج ١ / ١٨٩) .

أنه على فرض تدليسه عن الضعفاء عنده أيضاً ، لا يدلّس عنهم إلا ما كان ثابتاً قوياً ... من أحاديثهم ، لا ما كان ساقطاً أو متروكاً^(١) .

ونقل الصنعاني عن البقاعي قوله :

« سألت شيخنا - يريد الحافظ بن حجر - هل تدليس التسوية جرح ؟ قال : لاشك أنه جرح ، فانه خيانة لمن ينقل إليهم وغرور ، فقلت : كيف يوصف به الثوري والأعمش مع جلالتهما ؟! فقال :

أحسن ما يستبر به في هذا الباب : أن مثلها لا يفعل ذلك إلا في حق من يكون ثقة عنده ضعيفاً عند غيره^(٢) .

وادعى بعضهم شهرة سفيان بالتدليس ومنهم - ابن خلدون - أثناء كلامه عن أحاديث المهدي ، يقول عن سفيان : « مشهور بالتدليس^(٣) » .

والحق أن سفيان لم يكن كثير التدليس حتى يشتهر به ، فهذا هو البخاري - شيخ الحديثين - يقول عن سفيان :

(١) ابراز الوم المكون ص ١١٨ .

(٢) التوضيح (ج ٣٧٥/١) .

(٣) مقدمة ابن خلدون ص ٢٧٩ .

ما أقل تدليسه !!

ويقول الحافظ ابن حجر في التقریب عن سفیان :
ربما كان يدلّس ، فليس إطلاق الشهرة عليه بذلك إلا تهوراً
من ابن خلدون لامرر له - مع أن عدالة رجال الصحيحين
من مذهب ابن خلدون نفسه - وسفيان بلا شك من رجالهما
ورجال كل كتاب حديثي ... فكيف يجوز لمثل ابن خلدون
أن يطلق عليه هذا ليبر تركه لحديث المهدي ؟!!

كما تمسك بظاهر كلام الذهبي وغيره وأساء فهمه
أناسٌ حادوا عن الصواب فطعنوا بسفيان أمير المؤمنين في
الحديث ، ومن هؤلاء - محمد غلاب - في كتابه : التصوف
المقارن ، وأساء من ذلك - عبد الله الخنيزي - صاحب
كتاب : أبو طالب مؤمن قریش ، فلقد كال هذا لسفيان
من التّهم ما كال ، وأوغل في جرحه .

فلقد نقل خلافاً في سنية سفيان وتشيعه وزيديته ،
ولا يهمننا هذا القول بعد أن رأينا سنيته الواضحة في حديثنا
عن عقيدته ...

ولقد طعن في سفيان لمجرد روايته عن - الصلت
ابن دينار الأزدي - وهو ممن اختلف فيه جرحاً وتمديلاً...

وكانه يجهل أو يتجاهل بماذا يجرح الرجل ، ومتى يترك حديثه ؟ ومن من الأئمة خلا من الرواية عن ضعيف ؟

كما نرى المؤلف يطعن بسفيان لقوله : « لو أردنا أن نحدثكم بالحديث كما سمعناه ماحدثناكم بحديث واحد » .

وهذا كلام واضح في جواز الرواية بالمعنى عند سفيان وغيره من العلماء كما مر بنا سابقاً في الحديث عن طريقة سفيان في تحمل الحديث وأدائه ... فهل في هذا مجال للطعن؟! وما أكثر ما نقل عن الصحابة والتابعين أمثال هذا القول!!

كما خان المؤلف أمانة النقل حيث ذكر عن سفيان أنه « يكتب عن الكذابين » وأحال في ذلك على كتاب الميزان للذهبي ص ٣٩٦ ، ودلائل الصدق (ج ١/ ٣٤) ، وليس هذا من الصدق في شيء ، فقد نقلت سابقاً قول الذهبي الذي يقول فيه : « ولا عبرة لقول من قال : يدلس ويكتب عن الكذابين » .

فهل يؤثر هذا في عدالة سفيان المجمع عليها ؟!

وجميل أن أختم كلامي هذا عن تدليس سفيان بقول الحافظ ابن حجر رحمه الله في مقدمة « طبقات المدلسين »

وهو يعدد مراتب المدلسين وينقل كلام الحافظ الملائي يقول:

« الثانية : من احتمل الأئمة تدليسه وأخرجوا له في الصحيحين لاماته وقلة تدليسه في جنب ما روى كالثوري... ثم يذكر في هذه الطبقة : الإمام النخعي - وحامد بن أبي سليمان - والحسن البصري - وابن عينة - والأعمش - ويحيى بن أبي كثير - ، فهل يظن عاقل أن هذا يؤثر في عدالة هؤلاء الأعلام ؟!!

وبهذا يظهر لنا سفيان الحجة الثبت الثقة الذي لا تجرح فيه صفته بالتدليس ، ولا تؤثر عليه أقوال الجاهلين والمفرضين كما قوم بعضهم - رحمه الله ورضي عنه - .

- - -

البَابُ الثَّالِثُ

وهو في حياة سفيان العملية ، ويقع في فصلين :

الفصل الأول : حياته الخاصة .

الفصل الثاني : حياته العامة .

- - -

قال الامام أبو حنيفة رحمه الله :

« الحكايات عن العلماء ومحاسنهم أحب إلي
من كثير من الفقه ، لأنها آداب القوم » .

الفصل الأول

حياة سفينة الخاصة

عمله بعلمه :

يقول سفیان :

« يهتف العلم بالعمل ، فإن أجابه وإلا ارتحل (١) » .
كثيراً ما نلاحظ في حياة الناس اليوم الانفصال الكبير
بين العلم والعمل ... فما أكثر العلماء والحفاظ ! وما أقل
تطبيق كثير منهم لما حصلوا عليه من علم ، وتحلوا به من
حفظ !!

ولهذا خسر كثيرون ، اليوم بركة العلم في الدنيا ، وحاق
بهم الوعيد في الآخرة ، قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا
لم تقولون مالا تفعلون ، كبر مقتاً عند الله أن تقولوا مالا
تفعلون ... » (٢) .

(١) الإحياء للغزالي (ج ١ / ٦٥) .

(٢) الآية ٣ / من سورة الصف .

وروى الشيخان عن أسامة رضي الله عنه قال :
سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« مررت ليلة أُسريَ بي بأقوام تقرض شفاههم
عقاريض من نار ، قلت من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : خطباء
أُمتك الذين يقولون مالا يفعلون » (١) .

كما سلم سلفنا الصالح من هذا الداء الويل ، فلم
يعرفوا هذا الانفضال بين العلم والعمل في حياتهم ، فكانوا
علماء عاملين ، وهكذا كان عالمنا سفيان الثوري رضي الله
عنه . فلم يكن عنده العلم إلا وسيلة لخشية الله سبحانه : « إنما
يُخشى الله من عباده العلماء » (٢) .

روى أبو نعيم بسنده عن سفيان أنه قال : « إنما
فضل العلم على غيره ليتقى الله به » (٣) .

(١) جمع الفوائد (ج ٢ / ٣٧٠) ، ورواه الحافظ المنفري في
الترغيب والترهيب ثم قال : رواه البخاري ومسلم واللفظ له ،
ورواه ابن أبي الدنيا وابن حبان والبيهقي .

(٢) الآية / ٢٨ / من سورة فاطر .

(٣) الحلية (ج ٦ / ٣٦٢) .

وكان يقول :

« ليس طلب العلم فلان عن فلان ، إنما طلب العلم الخشية لله عز وجل (١) » .

كما وضع الثوري العلم ومراحل طلبه ، فهو عنده يبدأ بالطلب ، وينتهي بالنشر ، وفيما بين ذلك حفظه وتطبيقه فقال في حديثه عن العلم :

« إنما هو طلبة ، ثم حفظه ، ثم العمل به ، ثم نشره (٢) » ، فليس العلم عند سفیان للحفظ والنشر فحسب ، وإنما هو للعلم والعمل ، والتطبيق والنشر ...

وقد شهد له علماء عصره بالتطبيق الكامل ، وبروزه في هذا المضمار ، فقال مؤمل : « مارأيت عالماً يعمل بعلمه إلا سفیان (٣) » .

ويقول فيه الامام الأوزاعي :

« لو قيل لي اختر رجلاً يقوم بكتاب الله وسنة

(١) اخلية (ج ٦ / ٣٥٨) .

(٢) » (ج ٦ / ٣٦٢) .

(٣) » (ج ٦ / ٣٥٩) .

رسول الله ﷺ لاخترت لها الثوري^(١) ، .

وكان سفيان يتخوف من فتنة العلم فيتعبد به عن غايته الأساسية ، فيبكي على نفسه ويشعر بثقل العلم ومسئوليته ، إذ يكون حجة عليه أمام الله ، فيقول :

« وددت أن أنفلت من هذا الأمر لآلي ولا علي^(٢) . »

ويقول أيضاً :

« لو لم أعلم لكان أقل الحزني^(٣) ، . »

وبنه الناس ويحذرهم من فتنة العلم والحديث ، فيقول :

« الحديث أكثر من الذهب والفضة وليس يدرك ، »

وفتنة الحديث أشد من فتنة الذهب والفضة^(٤) ، .

وصدق سفيان : فكم في الناس من مفتن بعلمه ،

مفرور بتحصيله !! وما أكثر هؤلاء في بيئات تفتقر إلى العلم والعلماء !!!

ولم يكن تخوف سفيان هذا يمنعه من الاستزادة في

العلم ، والنهل من موارده ، بل كان يحرص عليه ويدعو

(٢٠١) الحلية (ج ٢٥٨/٦) .

(٢٠٢) الحلية (ج ٢٦٣/٦) .

للعلم والعمل ، ويحذر أن يقف أحدهما دون الآخر ...
 روى أبو نعيم في الحلية بسنده عن عبدالله بن المبارك
 أن سفيان سئل : طلب العلم أحب إليك يا أبا عبد الله
 أو العمل ؟ فقال :

« إنما يراد العلم للعمل ، لاتدع طلب العلم للعمل ،
 ولا تدع العمل لطلب العلم (١) » .

فما أجمل هذه التوفيق بين الأمرين !! والتوازن
 بين الجانبين !!

. . .

اهتمامه بالسنة :

مر بنا تحذير سفيان الثوري من البدع وأهلها في
 حديثنا عن عقيدته ، وقرأنا قوله هناك :

« لا يستقيم قول إلا بعمل ، ولا يستقيم قول ولا عمل
 إلا بنية ، ولا يستقيم قول وعمل ونية إلا بموافقة السنة (٢) » ،

(١) الحلية (ج ١٢/٧) .

(٢) » (ج ٣٢/٧) .

ولقد كان من حرص السلف رضوان الله عليهم على السنة النبوية أنهم كانوا يحرصون على التأسي بالرسول الكريم ﷺ في كل شيء ، لا يفرقون من حيث الامتثال بين الواجب والمندوب ، كما لا يفرقون من حيث الترك بين الحرام والمكروه ، وإنما ينظرون إلى ذلك كله نظرهم لأمر طلبه الشارع ورغب به ، أو حرمة وكرهه ... وهذا هو موقف المؤمنين الصادقين ، قال تعالى :

« وما كان لمؤمن ولا لمؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم » (١) .
وقد ذكر الامام أحمد بن حنبل رحمه الله بسنده عن عبد الرزاق أنه قال :

« أراد رجل أن يقلم أظافره عند سفيان ، وكان يوم الخميس ، فقال له رجل : لو تركته إلى غداة الجمعة . فقال سفيان : لا تؤخر السنة لشيء » (٢) .

عبادته :

ليست العبادة عند سفيان بكثرة الصلوات وعدد

(١) الآية ٣٦ / من سورة الأحزاب .

(٢) الورع ص ١١٤ .

الركعات فحسب ، وإنما هي تقوى الله عز وجل في كل حال ...

قال محمد بن يوسف الغرياني : « قلت لسفيان :
أرى الناس يقولون سفيان الثوري ، وأنت تنام الليل ؟ فقال
سفيان : اسكت ملاك هذا الأمر التقوى (١) ، .

ولا يعني هذا أن سفيان كان مقصراً في العبادات ،
فلقد كان يكثر منها أيضاً ، حتى قال يحيى بن سعيد القطان :

« كان سفيان ماشئت من صلاة وقراءة ، فإذا جاء
الحديث ، فكأنه ليس الذي كان (٢) ، . ولا غرامة : فإن
العلم عند سفيان ضرب من ضروب العبادة ...

وتَغَدَّى مرةً وآتى برطب ، فأكل ، ثم قام إلى
الصلاة فصلى ما بين الظهر والمصر ثم قال : إذا زدت في
قضم الحمار فزد في عمله (٣) ...

وكان يوصي بصلاة التهجد ويهتم بها ، قال محمد بن
يوسف :

(١) الخلية (ج ٧ / ٩) .

(٢) المقدمة ص ٦٥ .

(٣) المقدمة ص ٨٥ ، ٧٦ .

« كان سفيان يقيمنا بالليل ، ويقول : قوموا يا شباب
صلوا مادمتم شباباً » (١) .

ومن حرصه على العبادة أنه رؤي يوم جمعة وعليه
كساء وهو راكب حماراً ، فقال واحد لآخر مابال سفيان
اليوم ركب حماراً ؟ فقال : حمُّ اليوم فكره أن يترك
الجمعة ، فبث إلى جاره فاستعار حماراً ، فركب (٢) .

وكان من عبادته أنه يكثر من قراءة القرآن الكريم،
قال أبو خالد : صحبت سفيان في طريق مكة ، فكان يقرأ
في المصحف كل يوم ، فإذا لم يقرأ فيه فتحه ، فنظر فيه
وأطبقه (٣) .

وروى أبو نعيم عن الوليد بن عقبة : أن سفيان كان
يديم النظر في المصحف ، فيوم لا ينظر فيه يأخذه فيضعه
على صدره (٤) .

وكان يلزم نفسه بقراءة شيء معين كل يوم ، روى

(١) التقدمة ص ٩٦ .

(٢) د ص ١٠٣ .

(٣) د ص ٨٦ .

(٤) الحلية (ج ١٩/٧) .

عبد الرزاق : أن الثوري جعل على نفسه لكل ليلة جزءاً من القرآن وجزءاً من الحديث ، قال : فيقرأ جزءاً من القرآن ثم يجلس على الفراش ، فيقرأ جزءاً من الحديث ثم ينام^(١) .

وذكر أبو زيد عبثر قال :

إن بني ثور اجتمعوا على سفیان وهو شاب يناشدونه مما كان فيه من العبادة ، أي : أقصر عن هذا^(٢) .

وقال إسحق بن إبراهيم : كنا في مجلس اثوري وهو يسأل رجلاً رجلاً عما يصنع في ليله ، فيخبره حتى دار القوم ، فقالوا : يا أبا عبد الله قد سألتنا فأخبرناك ، فأخبرنا أنت كيف تصنع في ليلك ؟ فقال :

لها عندي أول نومة تنام ماشاءت لا أمنعها ، فإذا استيقظت فلا أقبلها والله^(٣) .

وكان كثير اللثاء - لأن اللثاء منح العبادة - وكان

(١) الضمة ص ٢١٦ .

(٢و٣) الحلية (ج ٦٠/٧)

رقيق القلب ، يقول عبدالرحمن بن مهدي :

« ماعثرت في الناس رجلاً هو أرق من سفيان ،
قال : وكنت أرافقه الليلة بعد الليلة ، فما كان ينام
إلا في أول الليل ، ثم ينتفض فزعاً مرعوباً ينادي : النار ،
شغلني ذكر النار عن النوم والشموات - كأنه يخاطب رجلاً
في البيت - ثم يدعو بماء إلى جانبه ، فيتوضأ ثم يقول على
إثر وضوئه :

« اللهم إنك عالم بحاجتي غير معلم بما أطلب ، وما
أطلب إلا فكاك رقبتي من النار ، اللهم إن الجزع قد أرقني
من الخوف فلم يؤمني ، وكل هذا نعمتك السابقة علي ، وكذلك
فعلت بأوليائك وأهل طاعتك ، إلهي : قد علمت أن لو
كان لي عذر في التخلي ماأقت مع الناس طرفة عين .
ثم يقبل على صلاته ، وكان البكاء يمنعه من القراءة ،
حتى إني كنت لا أستطيع سماع قراءته من كثرة بكائه .
قال ابن مهدي : وما كنت أقدر أن أنظر إليه استحياءً
وهيبة منه (١) ، .

(١) الحلية (ج ٦٠/٧) .

زهد :

ساء مفهوم الزهد عند كثير من الناس ، فذهبوا
فيه مذاهب شتى أبعدتهم عن الزهد الحقيقي الكامل الذي
كان عليه رسول الله ﷺ وصحابته الكرام ...

وتنبها لهذا الخطأ القديم في معنى الزهد نجد سفيان
الثوري يعرفه فيقول : الزهد في الدنيا قصر الأمل ، ليس
بأكل الفليظ ولا لبس العبا (١) .

ولما سئل : أ يكون الرجل زاهداً وله مال ؟ قال :
نعم ، إن ابتلي صبر ، وإن أعطي شكر (٢) .

وقد كان سفيان رحمه الله زاهداً بهذا المعنى ، إن
أعطي شكر ، وإن حرم صبر ، وكان يميل في حياته إلى
التقشف في الحياة ، والاقبال من الدنيا ، حتى قال علي
ابن ثابت :

« لو أن معك فلسين تريد أن تصدق بهما ثم مررت
على سفيان - وأنت لاتعرفه - لظننت أنك لاتمتنع من أن

(١) الحلية (ج ٢٨٦/٦) .

(٢) « (ج ٢٨٧/٦) . وكتاب الورع ص ١١٢ .

تضعها في يده ، ورأيت سفیان في طريقه إلى مكة فقومت كل شيء عليه حتى نعليه - بدرهم وأربعة دوانيق - (١) .

وجاع سفیان مرة جوعاً شديداً ، حتى مكث ثلاثة أيام لا يأكل شيئاً ، فمر بدار فيها عرس ، فدعته نفسه إلى أن يدخل فمصمه الله تعالى ومضى إلى منزل ابنته ، فأنته بقرص فأكله وشرب ماء ، فتجشئ ، ثم قال :

سيكفيك عما أغلق الباب دونه وضنَّ به الأقوام ملحٌ وجردق
وتشرب من ماء فرات وتقتدي تعارض أصحاب التريد المليق
تجشئ إذا ما هم تجشوا كأنما ظللت بأنواع الخبيص تفتق (٢)
وكان ينشد بيتين لابن حطان :

أرى أشقياء الناس لا يسألونها على أنهم فيها عراة وجوُّع
أراها وإن كانت قليلاً كأنها سحابة صيف عن قليل تقشع (٣)
كما كان يتمثل بالبيتين التاليين :

زوح وتقدو لحاجاتنا وحاجة من عاش لا تنقضي
تموت مع المرء حاجاته وتبقى له حاجة ما بقي (٤)

(١) الحلية (ج ٦ / ٣٧٨) .

(٢) » (ج ٦ / ٣٧٣) .

(٣) » (ج ٦ / ٣٧٤) .

(٤) مقدمة الجرح والتعديل ص ٩٨ .

وقد شهد زهد سفیان كثير من العلماء ، فقال أحمد
ابن یونس :

« مارأيت أحداً أعلم من سفیان ، ولا أورع من
سفیان ، ولا أقمه من سفیان ، ولا أزهد من سفیان^(١) » .

وما كان زهد سفیان ليمنه من العمل والاتجار ،
مقد كان يعمل ويتاجر ، ويدعو للعمل ، ويحذر من التخلف عنه :

قيل للامام أحمد بن حنبل : الثوري لأي شيء خرج
اليمن ؟ قال : خرج للتجارة ، وللقاء معمر ، قلت : قالوا :
كان له مائة دينار ، قال : أما سبعون فصحيحة^(٢) » .

وكان يقول :

« لأن أخلف عشرة آلاف درهم أحاسب عليها ،
أحب إلي من أن أحتاج إلى الناس^(٣) » .

وقد اشتهر بكثرة تقديره للعمل بين الناس ، فقد
روى الامام أحمد أن شعيماً كان يقول لأفلاس يعملون بسقي

(١) الحلية (ج ٦ / ٣٥٩) .

(٢) الورع ص ١٣ .

(٣) الحلية (ج ٦ / ٣٨١) .

الماء : لو رآك سفيان لقرت عينه - أي بسبب عمله وكسبه - (١)
 وكان يقول : عليك بعمل الأبطال - الكسب من
 الحلال ، والاتفاق على العيال (٢) .

ودخل مرة في البصرة على يوسف بن عبيد ، فإذا
 ختيان كأن على رؤوسهم الطير ، فقال : يامعشر القراء :
 ارفموا رؤوسكم فقد وضع الطريق ، واعملوا ولا تكونوا
 عالة على الناس ، فرفع يوسف رأسه إليهم فقال : قوموا ،
 فلا أعلم أحداً منكم جالسني حتى يكسب معاشه من وجهه
 فتفرقوا (٣) ...

وكان يرى في المال والعمل بعداً عن السلاطين والولاة
 والحاجة إليهم ، وحفظاً للعة والكرامة التي يجب أن يتحلى
 بها العلماء ...

روى أبو نعيم أنه قال :

« إن عامة من داخل هؤلاء - يعني السلاطين -
 إنما دفعهم إلى ذلك العيال والحاجة ، وقال : كانت له بضاعة

(١) الورع ص ١٣ .

(٢) الحلية (ج ٢٨١/٦) .

(٣) « (ج ٢٨٢/٦) .

مع بعض إخوانه وكان يقول : ما كانت العدة - أي المال المُعَدَّة - في زمان أصلح منها في هذا الزمن^(١) ، .

وجاء إليه رجل وقال له : يا أبا عبدالله تمسك هذه الدنانير ؟ فقال : اسكت ، لولا هذه الدنانير لتمندل بنا هؤلاء الملوك^(٢) .

وقد توفي سفيان وخلف مالا وتركه ، قال وكيع : وكان سفيان يلبس القرو ويلبس العباء ، ومات وله بضاعة مائة وخمسون دينارا^(٣) ، .

وكان من زهده أنه زهد في المناصب العالية في الدولة وكان يقول في ذلك :

« مارأينا الزهد في شيء أقل منه في الرياسة ، ترى الرجل يزهد في المال والثياب والمطعم ، فإذا نوزع في الرياسة حامى عليها وعادى ... »^(٤) .

وكان يبتعد عن تولي المناصب ، ويدعو لذلك إخوانه ،

(١) الخلية (ج ٣٨٠/٦) .

(٢) » (ج ٣٨١/٦) .

(٣) مقدمة الجرح والتعديل ص ١٠٥ .

(٤) انوزع ص ٥٩ .

فلقد لقي سفيان مرة شريكاً بعد أن ولي القضاء ، فقال له :
 « يا أبا عبد الله بعد الاسلام والخير صرت إلى
 الدخول في القضاء ؟! فقال له شريك : يا أبا عبد الله :
 بُدِّءَ للناس من قاضي ؟ فقال له سفيان : بُدِّءَ للناس من
 شرطي (١) ؟

. . .

تواضعه :

ليس التواضع عند سفيان أن يكون المرء مستوراً
 مجهولاً ، أو ذليلاً مستصغراً ، وإنما التواضع تواضع النفس ،
 فلا يرى الانسان لنفسه ميزة على إخوانه ، ولا يحب الشهرة
 بين الناس .

قال الفضل بن مهلهل : قال لي سفيان : فيم السلامة؟
 قلت : أن لا تعرف . قال : هذا مالا يكون ، ولكن
 السلامة في أن لا تحب أن تعرف (٢) .

وكان يستصغر نفسه ، فلقد رؤي مرة في مكة وقد

(١) الورع ص ١١٥ .

(٢) الحلية (ج ١٣/٧) .

كثّر عليه الناس من حوله ، فقال : ضاعت الأمة حين احتيج إلي^(١) .

وكان لا يتصدر مجلساً ، ولكنه يجلس بين عامة الناس ، حتى قال في ذلك علي بن ثابت : مارأيت سفيان في صدر مجلس قط ، كان يقعد إلى جانب الحائط ، ويجمع بين ركبتيه^(٢) .

وقد اشتهر بتواضعه ، واختبره فيه إبراهيم بن أدهم مرة ، روى أبو نعيم أن إبراهيم بن أدهم امتحن تواضعه مرة فقال : لما قدم سفيان بيت المقدس ، أرسل إليه إبراهيم بن أدهم فقال : تعال حدثنا ، فقبل له : يا أبا إسحاق : تبعث إليه بمثل هذا ؟ قال : إنما أردت كيف تواضعه ، قال : فجاء فحدثهم^(٣) ، .

والجدير بالذكر هنا : أن تواضع سفيان لم يصل به إلى درجة الذل والاستصغار ، كما يفعل بعض من يدعي التواضع ويتصنعه ، لأن المؤمن عزيز كريم ، فمن أقوال سفيان في ذلك :

(١) الحلية (ج ٦ / ٣٨٢) .

(٢) » (ج ٦ / ٣٧٨) .

(٣) » (ج ٦ / ٣٦٧) .

« أحب أن أكون في موضع لا أعرف ، ولا أستدل (١) » .

وقال ابن مهدي : سمعت سفيان الثوري يقول :
« وددت أني أخذتُ نعلي هذه ثم جلست حيث شئت
لا يعرفني أحد ، ثم رفع رأسه ، ثم قال : بعد أن لا أستدل (٢) » .
ولشدة خوفه من الذلة ، كان يسكن بين معارفه
من الناس الذين يعرفون قدره ، ويقول :
« لولا أن أستدل لسكنت بين قوم لا يعرفوني (٣) » .

ورعه ، ودقة محاسبته نفسه :

ورع سفيان هو الورع المعروف عند السلف :
الوقوف عند الحدود ، والبعد عن الشبهات ، والدقة في
ملاحظة النفس ومحاسبتها .
ولقد كان إماماً في ورعه ، قال قتيبة بن سعيد :
لولا سفيان لمات الورع (٤) .

(١) الخلية (ج ٦ / ٣٨٨) .

(٢) » (ج ٧ / ٦) .

(٣) » (ج ٧ / ٢٠) .

وقد مر بنا قول الفضيل بن عياض عندما سئل عن ورعه ، أخبر : أن قدوته فيه سفيان الثوري .

ولشهرة سفيان بالورع ، كان يعرف به بين الناس ، ولقد مرت بنا قصته العجيبة في حديثنا عن تنقلاته ، أنه اشتغل أجيراً في بستان نخيل ، فلم يذق رطبه ، لأنه عامل يأبى على نفسه أن يذوق شيئاً من الثمر بلا ثمن .

وكان سفيان لشدة ورعه ، يحاسب نفسه على الكبيرة والصغيرة والخطأ ، ومن عجائبه في ذلك ، أنه قال لجلسائه مرة : اتقوا الشهوة الخفية : أقول لكم اذهبوا إلى عملكم ، وقلبي يشتهي لاتبرحون (١) .

وروى أبو نعيم أن شخصاً أهدى لسفيان ثوباً فردّه عليه ، فقال له : يا أبا عبد الله لست أنا ممن يسمع الحديث حتى ترده عليّ ، قال : علمت أنك ليس ممن يسمع الحديث ، ولكن أخاك يسمع الحديث مني ، فأخاف أن يلين قلبي لأخيك أكثر مما يلين لغيره (٢) ...

(١) الورع ص ٥٩ .

(٢) الحلية (ج ٣/٧) .

وحدث أخوه مبارك عنه قال :

« جاء رجل إلى سفيان بيسرة أو بيسرتين ، وكان أبو ذاك صديقاً لسفيان ، قال : يا أبا عبد الله في نفسك من أبي شيء ؟ فقال : يرحم الله أباك كان وكان ، فأثنى عليه ، فقال : يا أبا عبد الله ، قد عرفت كيف صار إلي هذا المال ، فأنا أحب أن تأخذ هذه تستعين بها على عيالك قال : فقبل سفيان ذلك ، وقام الرجل ، فلما كاد أن يخرج قال لي : يا مبارك : إلقه فردّه علي ، فقال : يا ابن أخي أحب أن تأخذ هذا المال . قال له : يا أبا عبد الله في نفسك منه شيء ؟ قال : لا ، ولكن أحب أن تأخذّه ، فما زال به حتى أخذه فذهب به ، قال مبارك : فلما خرج لم أملك نفسي أن جئت إليه فقلت : ويلك أي شيء قلبك هذا حجارة ! عد أن ليس لك عيال ، أما ترحمني ؟ ! أما ترحم إخوتك ! أما ترحم عيالنا وعيالك ؟ قال : فأكثر عليه ، فقال : الله يا مبارك ، تأكلها هنيئاً مريئاً ، وأسأل أنا عنها (١) ؟ !

وخرج مرة سفيان مع إبراهيم بن آدم ، وإبراهيم

ابن طهين إلى الطائف ، ومعهم السفرة فيها طعام ، فوضعوها ليأكلوا ، وإذا أعراب قريب منهم ، فناداهم إبراهيم بن طهمان : يا إخوتاه هلموا ، فقال لهم سفيان : يا إخوتاه مكانكم . ثم قاتل سفيان لإبراهيم : خذ من هذا الطعام ما طابت به أنفسنا فاذهب به إليهم ، فإن شبعوا قاله أشبعهم ، وإن لم يشبعوا فبهم أعلم . أخاف أن يحيثوا فيأكلوا طعامنا كله ، فتنمير نيابتنا ، ويذهب أجرنا .. (١) .

وكان يحاسب نفسه ويقول : « حرمت قيام الليل بذنب أحدثته خمسة أشهر (٢) » .

ولم يكن من ورعه أنه لا يأكل المباح ، ولا يتمتع به ، فقد روي مرة يأكل الطبايح وقال : إني لم أنهمك عن الأكل ، ولكن انظر من أين تأكل ، وارتحل وانظر على من تدخل ، وتكلم وانظر كيف تتكلم ، كيف أنهماكم عن الأكل والله تعالى يقول : « خذوا زينتكم عند كل مسجد ، واكلوا واشربوا » (٣) .

(١) الخية (ج ٦ / ٣٨٨) .

(٢) » (ج ٧ / ١٧) .

(٣) » (ج ٧ / ٧٠) .

وكان يحاسب نفسه وإخوانه على ضياع الوقت ، ويمأله
 بالعلم أو العمل ، حدث عبد الرحمن بن مهدي قال :
 « ربما نكون مع سفيان ، فيقول : النهار يذهب
 ونحن في غير عمل ، ثم يقوم فزعاً فما زاه يومنا » (١) .

خوفه من الله تعالى :

إن الخوف والخشية من الله عز وجل صفة من
 صفات المؤمنين المتقين : قال تعالى : « الذين يخشون ربهم
 بالغيب ، وهم من الساعة مشفقون » (٢) .

وقال أيضاً : « والذين هم من عذاب ربهم مشفقون » (٣) .

ولهذا كان عالمنا سفيان خائفاً من الله كل الخوف ،
 روى أبو نعيم بسنده عن أبي أسامة قال : ما رأيت أحداً
 أخوف لله من سفيان (٤) .

(١) المقدمة ص ٩٤ .

(٢) الآية /٤٩/ من سورة الأنبياء .

(٣) « /٢٧/ » « المعارج » .

(٤) الحلية (ج ٦ / ٣٩٢) .

وكان سفيان يقول :

« كفى بالحسرة والندامة يوم القيامة لمن كان يعلم ولا يعمل (١) » .

وكان عندما يذكر الموت يفشى عليه ، ويرجف قلبه ، ولا ينتفع به ، روى ابن أبي حاتم بسنده : أن سفيان كان إذا ذكر الموت مكث أياماً لا ينتفع به ، فاذا سئل عن شيء قال : ما أدري ما أدري (٢) .

وكان عبد الله بن رجاء المكي يقول : « مارأيت أحداً أكثر ذكراً للموت من سفيان (٣) » .

وقال يحيى بن اليمان : « كنت أرى سفيان الثوري مقنع الرأس يشتد في أثر جنازة العبد والأمة (٤) » .

وكان يخاف على نفسه من طلب العلم وفتنته ، ويقول : « وددت أنني أنقلت من هذا الأمر لا لي ولا علي ، أنا اليوم أطلب العلم فلأي شيء هو ؟! » (٥) .

(١) الحلية (ج ٣٩٢/٦) .

(٢) المقدمة ص ٨٥ .

(٣) » ص ١٠٣ .

(٤) » ص ١٠٢ .

(٥) » ص ٦٢ .

صمته وتفكره :

وكان من شدة خوف سفيان من ربه ، ووجهه من الحساب ، كثيراً ما بصمت ، ويفكر في نتيجته ...

روى ابن أبي حاتم عن قبيصة أنه قال : كنا نأتي سفيان بعد العصر لا يتكلم بشيء حتى يمسي ، ولقد أتيت ذات يوم فرأيت باب المسجد مردوداً ، وظننت أنه ليس في المسجد أحد ، فلما دخلت المسجد ، فإذا المسجد غاص بأهله ، ولم سكوت ، وسفيان ساكت لا يتكلم^(١) .

وكان سفيان يطيل التفكير في أمر الآخرة ، قال يومئذ : قال لي سفيان : ناولني المطهرة أتوضأ - ونحن في المسجد - فناولته ، فوضع يمينه على خده الأيمن ، ووضع يساره على خده الآخر ، ثم نمت ، فاستيقظت وقد طلع الفجر وهو على حاله ، فقلت : يا أبا عبد الله قد طلع الفجر ، فقال : ما زلت أفكر في أمر الآخرة منذ ناولتني المطهرة إلى الساعة^(٢) .

(١) التقدمة ص ٩٨ .

(٢) " ص ٩٠ .

وأخبر محمد بن عصام عن أبيه : أن سفيان كان يأخذ في التفكير فينظر إليه الناظر ، فيقول : مجنون (١) . وكان يحدث عن نفسه أنه كان يأخذ بالفكرة ، فيبول الدم .

. . .

طائفة من كراماته :

لا تكاد تقلب كتاباً في التراجم والطبقات إلا وترى التراجم مليئة بذكر الكرامات والخوارق التي أجراها الله على أيدي أوليائه وأصفياه ...

ولا عجب من ذلك لأن الله تعالى إذا أحب عبداً كان سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، أعطاه إذا سألها ، وأعاده إذا استعاده - كما صح في الحديث الشريف - .

فما هذه الكرامات التي يكرم الله بها أوليائه إلا علامات صدقهم معه وبشائر قربهم منه . ولا يعني هذا أنها مقياس الصلاح والتقوى - كما يتوهمه بعض الموام - ولكن

(١) المقدمة ص ٩١ .

المقياس إنما هو استقامتهم على أمر الله والرسول ... ولذلك اعتبر العلماء الاستقامة رأس كل كرامة ، فلا عبرة بمن طار عندهم في الهواء ، ولا من مشى على الماء إذا خالف حاله وفعله كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ ...

واتباعاً لتلك الطريقة في التراجم ، أجيبت أن أذكر طرفاً من كرامات سفيان رضي الله عنه . فمن ذلك : أنه عندما أرسل أبو جعفر المنصور في طلب سفيان الثوري إلى مكة ، وكان أبو جعفر في طريقه إليها ، فالتجأ إلى الله ، وذهب إلى الكعبة المشرفة وأخذ برتاجها ، وقال : برئت منه إن دخلها أبو جعفر ، فلم يدخل أبو جعفر مكة إلا ميتاً^(١) .

وروى أبو نعيم بسنده عن عبد الرحمن بن يعة-وبن إسحق المكي ، قال :

حدثني شيخ من أهل هراة ، يقال له : عبد الله الهروي - رجل صدق - قال : دخلت زمزم في السحر فإذا بشيخ ينزع الدلو الذي يلي الركن ، فلما شرب أدخل الدلو ، فأخذته فشربت فضله ، فإذا هو سويق

(١) تهذيب النووي بتصرف (ج ١ / ٢٤٥) .

لوزٍ لم أذق سويق لوز أطيب منه ، فلما كانت في القابلة
 رصدته ، فلما كان في ذلك الوقت ، دخل فسدل ثوبه على
 وجهه ، ففزع بالذلو مما يلي الركن ، ثم شرب وأدخل الذلو
 فأخذت فضله فشربت ، فإذا ماء مضروب بالعسل لم أشرب
 عسلاً قط أطيب منه ، قال : فأردت أن آخذ بطرف ثوبه
 ففانني ، فلما كانت الليلة الثالثة قدمت قبالة باب زمزم ، فلما
 كان في ذلك الوقت ، دخل وقد سدل ثوبه على وجهه ،
 فدخلت فأخذت بطرف ثوبه ، فلما شرب ، أرسله ، قلت :
 يا هذا أسألك رب هذه البنيّة من أنت ؟ قال : تكلم علي
 حتى أموت ؟ قلت : نعم ، قال : أنا سفيان بن سعيد ،
 فأرسلته وشربت من الذلو فإذا لبن مضروب بسكر لم أر
 لبناً قط أطيب منه ، قال : وكانت الشربة تكفيني إذا شربتها
 إلى مثلها لا أجد جوعاً ولا عطشاً^(١) .

وذكر عبد الرحمن بن مهدي : أنه لما مات سفيان ،
 أردنا أن ندفنه ليلاً من أجل السلطان ، فأخرجناه فلم نشكر
 الليل من النهار^(٢) .

(١) الحلية (ج ٧/٧٣) .

(٢) الحلية (ج ٧/٧٥) .

الفصل الثاني

عبادة العامة

بره بأبيه وابنه :

إن أخلاق سفيان الكريمة مع الناس جعلته إماماً لهم ،
ومرجباً يرجعون إليه ، ويشقون بفتواه ...

فهو العالم المرشد لهم ، والمتألم لألمهم ، والباذل نفسه
وعلمه لهم ، وقد كان من أخلاقه العامة التي اشتهر بها :
بره بأبيه وابنه .

ولعل شهرته في ذلك دعت ابن أبي حاتم أن يوب
لهذا الخلق باباً خاصاً في معرض حديثه عن سفيان ، وذكر
في ذلك روايتين مختلفتين ندل أولاهما على بره بأبيه . والثانية
على بره بابنه .

روى ابن أبي حاتم عن ابن يمان يقول :

« تجهزت إلى مكة وسفيان بها ، فقال لي سيدي
أبوه : قل لابني يقدم ، فلقيني سفيان فسألني عنه ، فقلت :

هو صالح ، ويقول لك أقدم . فتجهز للقدوم ، ثم قال :
 « إِنَّا سَمُّوْا الْآبِرَارَ لِأَنَّهُمْ بَرَوِا الْآبَاءَ وَالْأَبْنَآءَ » (١) .

وفي نسخة أخرى كما أشارت إلى ذلك الحاشية :
 « قل لأبي ، فكأن طلب القدوم كان من ابنه ، ويشهد لها
 قول سفيان أخيراً : لأنهم برؤ الآباء والأبناء .

وحدث محمد بن عصام عن أبيه عصام : أن عصاماً
 خرج يريد مكة للصَّحِّ فودعه قبل سفره - محمد - ابن
 لسفيان الثوري . وكان عمره ١٠ / سنوات ، وقال : اقرأ
 مني السلام على أبي وقل له : أقدم فأني مشتاق إليه . فلما
 وافى عصام مكة ، وصار إلى سفيان وهو يحدث الناس
 مجتمعين عليه ، فلما نظر إليه أنس به ، حتى قال له ما قال
 ابنه : فقام سفيان من المجلس وطاف بالبيت ، وصلى خلف
 المقام ، وودع البيت وخرج نحو الأبطح والناس في طلبه ،
 فقال يا عصام : رُدِّ عني هؤلاء القوم فأني لا أحدثهم اليوم ،
 فما زال حتى صرف أصحاب الحديث عنه ، حتى خلا بوجهه ،
 فقال له عصام : أين تمضي ؟ قال : نحو المنزل إن شاء الله
 - أراد الكوفة - فقال له عصام :

(١) تكملة الجرح والتعديل ص ١٢٥ .

بعد غدير التروية ، وبعده يوم الحج الأكبر ، ويوم
النحر وتمضي وتدعه !! وهؤلاء الناس يأخذون عنك العلم
فيبقى لك أجر من عمل بشيء منه ! فقال : أنا أعلم بهذا
منك ، ولكن أتيتني بفرض واجب أن أقضيه ، وتأمرني
أن أقيم على نافلة وأضيع الفرض ؟! وإني مشتاق إلى ابني ،
فإذا قمت في الموقف والمشاهد ، فادع لنا ، وإذا خرجت
فاجعلنا طريقك إن شاء الله .

فخرج بلا زاد ولا صاحب ، قال عصام : فسألت
عنه نفراً ، فأخبروني عنه أنه وافاها ذلك اليوم وصلى العيد
بالكوفة ، ولقي ابنه بالمصلى ، ودخل منزله - رحمه الله - (١) !

. . .

رأفته :

ومن أخلاق سفيان مع الناس أنه كان رءوفاً رحيماً
بهم ، فقد روى ابن أبي حاتم بسنده أن مبارك بن سميد
- أخا سفيان - تناول مملوكاً بالضرب ، وكان لسفيان فيه
نصيب ، فقال سفيان : أتضرب المملوك ؟ نصيبني منه لك ،
لاتمودن فيه (٢) .

(١) الحلية (ج ٧٠/٧) .

(١) المقدمة ص ٩٣ .

فلم يرض سفيان أن يضرب مملوك تحت ملكة، فتنازل
عنه رحمة ورأفة !

. . .

جهاده :

لم تكن حياة السلف -رضوان الله عليهم- مقصورة
على العلم والتعليم ، والعبادة والذكر ... فقد كانوا يرون أنه
لابد للمسلم من الجهاد الذي هو ذروة سنام الاسلام . فما
كانت حياة أحدهم خالية عن جهاد أو مرابطة ، وإن اختلفت
درجاتهم في ذلك .

فمنهم من يغلب عليه جانب الجهاد فيطفي على معظم
حياته ، كما عرف ذلك عن الامام عبد الله بن المبارك
رحمه الله ، ومنهم من يغلب عليه جانب العلم والتعليم ، وجهاد
الحكام والولاة كما غلب هذا على عالمنا سفيان ...

ومع هذا كله لم تخل حياته من رباط في سبيل الله ،
غرابط في سبيل الله بمسقلان أربعين يوماً .

قال الفريري :

« قدم سفيان الثوري بيت المقدس ، فأقام ثلاثة أيام ،

وصلى عند باب الرحمة ، وعند محراب داود عليه السلام ،
ورابط بمسقلان أربعين يوماً (١) ، .

وسياتي معنا قريباً جانب واسع من جهاده في العلم
والتعليم ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ..

. . .

تألمه من المنكر ونهيه عنه :

إن من علامات الحب في الله ، والبغض في الله
- الذي كان أوثق عرى الإيمان - أن يتألم المرء من المنكر
إذا رآه ، وينفر من صاحبه ، وهذا هو الميار الصحيح
عند سفيان لهذا الأمر .

فمن يوسف بن اسباط قال : سمعت سفيان الثوري
يقول :

« إذا أحب الرجل أخاه في الله عز وجل ، ثم
أحدث حدثاً في الاسلام فلم ينفذه عليه ، فلم يحبه في الله
عز وجل ، (٢) .

(١) الحلية (ج ٢٥/٧) .

(٢) المقدمة ص ٩٠ .

وكان كثير التألم من المنكرات ، حتى كادت تؤدي به إلى الهلاك ، روى يحيى بن يمان : أنه لقي سفيان فقال : تدري من أين جئت ؟ قلت : لا ، قال : مررت بدار الصيدانيين ، فنهيتهم عن بيع الدادي^(١) ، وإني لأرى الشيء يجب علي أن آمر فيه وأنهى ، فأبول دماً ،^(٢) .

ويقول أبو أسامة : اشتكى سفيان ، فذهبت بمائه في قارورة ، فأرثته الديراني - يعني الطبيب - فنظر إليه ، فقال لي : بول من هذا ؟! ينبغي أن يكون هذا بول راهب ، هذا بول رجل قد فُتت الحزن كبده ، مآرى لهذا دواءً^(٣) .

وكان يهتم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر غيرة على دين الله ، لا يداري في ذلك ولا يجامل ...

حتى قال يحيى بن أبي غنية :

« مارأيت رجلاً قط أصفق وجهاً في الله عز وجل من سفيان الثوري »^(٤) .

(١) هو حب يوضع في الماء ، فيصبح مُسْكراً .

(٢) المقدمة ص ١٢٤ .

(٣) » ص ٩٢ . وفي نسخة (فرت الحزن كبده) .

(٤) » ص ١٠٨ ، وأخيه (ج ١٣/٧) .

وما أكثر الناس الذين يدارون ويجاملون فيسكتون
عن المنكرات ، فيفتحون بسكوتهم هذا مجالاً لثبوتها وانتشارها
بين الناس ...

وحدث الوليد بن شجاع بن الوليد قال : قال أبي :
« كنت أخرج مع سفيان الثوري ، فما يكاد لسانه
يفتر عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ذاهباً وراجعاً » (١).
ومن أقواله في ذلك :

« إذا أثنى على الرجل جيرانه أجمعون ، فهو رجل سوء ،
قالوا لسفيان : كيف ذاك ؟ قال : يراهم يعملون بالمعاصي ،
فلا يغير عليهم ، وبلقاهم بوجه طلق » (٢) .

وعن أبي المنذر قال : رأيت سفيان الثوري ورأى
رجلاً يتوضأ بعدما أقام المؤذن الصلاة ، فقال : هذه الساعة
توضأ ؟! لا كلمتك أبداً (٣) .

. . .

(١) الحلية (ج ١٣/٧) .

(٢) الحلية (ج ٣٠/٧) .

(٣) المقدمة ص ٩٦ .

موقفه من الولاة :

كان سفيان الثوري يعتمد عن الولاة ، ويحذر منهم لما يراه من ظلمهم وسكوت الناس عنهم .
وكان يرى أن النظر في وجه الظالم معصية ، والنساء له خطيئة أخرى (١) .

روى الامام أحمد عن عثمان بن زائدة ، قال : قال لي سفيان :

« يا عثمان لا تجالس القاضي ، إذا قلت له عافاك الله ، فهو يرى أنك رضيت عمله ، وإذا قلت له : جزاك الله خيراً ، فما بقي من الثناء ! » (٢) .

وعن أبي شهاب قال : قال الثوري :
« من لاق لهم دواة ، أو برى لهم قلماً فهو شريكهم في كل دم كان في الشرق والغرب » . قال أبو شهاب :
أصبحت وما يسرني أني صمت وحجبت واعتمرت وعملت أنواع البر ، وإني قلت لبعضهم : كيف أصبحت ! » .

(١) الحلية (ج ٢٦/٧) .

(٢) الورع ص ٥٧ .

وكان يقول : إذا رأيت القاريء يلوذ بباب السلطان
فاعلم أنه لص ... ، (١) .

وكان يقول :

« إذا دعوك لتقرأ عليهم : قل هو الله أحد ، فلا
تأثم » . ويقول :

« لو خیرت بین ذهاب بصري وبين أن أملاً بصري
منهم لاخترت ذهاب بصري » ، (٢) .

ولقد عرف الولاة ذلك منه :

قال أبو عبيد الله - وزير المهدي - :

« ما أعلقنا مخالينا هذه في عنق أحد إلا قضم منها
إلا سفیان الثوري » ، (٣) .

وقيل لسفيان مرة : لو دخلت عليهم ، قال : إني
أخشى أن يسألني الله عن مقامي ماقلت فيه ؟ قيل : تقول
وتتحفظ ، قال : تأمروني أن أسبح في البحر ولا تبسل
ثيابي ؟!

(٢١) الحلية (ج ٢٨٧/٦) .

(٣) الورع ص ١٠٦ .

وكان يقول : ليس أخاف ضربهم ، ولكنني أخاف
 أن يميلوا علي بدنياهم ، ثم لا أرى سيئتهم سيئة . (١)
 ولكن أمنية سفيان في البعد عنهم لم تتحقق له دائماً ،
 فكان يضطر أحياناً للدخول عليهم استجابة لطلبهم ، أو تذكيراً
 لهم بأمر من أمور المسلمين ، فقد كان صريحاً معهم وجريئاً ،
 وحذراً من أساليبهم ومكرهم .

قال عبد الرحمن بن مصعب :

« برز سفيان على الناس لأنه كان صحيح الأديم ،
 بعيداً عن الأهواء ، يقول الحق ويريده إن شاء الله » (٢) .
 وكان يرى أنه يجب شروط فيمن يأمر بالحكام المعروف
 وبنهاهم عن المنكر ، فمن قوله في ذلك :

« لا يأمر السلطان بالمعروف إلا رجل عالم بما يأمر ،
 عالم بما ينهى ، رفيق فيما يأمر ، رفيق فيما ينهى ، عدل فيما
 يأمر ، عدل فيما ينهى » (٣) .

وقد كان يقول :

« مثل العالم مثل الطبيب ، لا يضع الدواء إلا على

(١) الحلية (ج ٤٢/٧) .

(٢) التقدمة ص ٩٥ .

(٣) الحلية (ج ٣٧٩/٦) .

موضع الداء ، (١) .

وقد كانت له مواقف شهيرة في أمر الولاة بالمعروف
ونهيهم عن المنكر ، من ذلك مارواه الامام أحمد وغيره عن
الفرابي أنه قال : سمعت سفيان يقول :

« دخلت على أبي جعفر بنى ، فقلت له : اتق الله ،
فانما أنزلت هذه المنزلة ، وصرت إلى هذا الموضع بسيوف
المهاجرين والأنصار ، وأبناؤهم يموتون جوعاً .

حج عمر بن الخطاب فما أنفق إلا خمسة عشر ديناراً ،
وكان ينزل تحت الشجر ... قال : فقال لي :

إنما تريد أن أكون مثلك ؟ فقلت :

لا تكن مثلي ، ولكن كن دون مأت فيه ، وفوق
ما أنا فيه . قال : فقال لي : اخرج ، فخرج الثوري من
عنده (٢) .

ولما رجع الثوري إلى الكوفة ، جعل يأخذ على
أبي جعفر ما يفعل بالمسلمين من الجور والجبر والقهر ، فصبر
عليه أبو جعفر مدةً ، ثم أمر بأخذه ، فخرج سفيان إلى

(١) الحلية (ج ٦ / ٣٦٨) .

(٢) الورع ص ١١٢ ، والتقدمة ص ١٤ .

الكوفة هارباً وذلك سنة /١٥٥ هـ (١) .

ولما تيقن أبو جعفر أن الثوري لا يعدل عن نهجه في نقد الحكومة ، ولا يبالي بمؤاخذتها ، أراد أن يجسه وينتقم منه انتقاماً تاماً ، فكتب إلى محمد بن إبراهيم - عامله على مكة - بحبس رجل من أبي طالب كان بمكة وبحبس ابن جريج ، وعباد بن كثير - والثوري - فحبسهم ، ثم أطلقهم من الحبس بغير إذن أبي جعفر ، فغضب عليه أبو جعفر (٢) .

ويقول عبد الرزاق : قدمنا مكة ، وقدمها المهدي ، فحضرت الثوري وقد خرج من عنده - وهو مغضب - فقال :

« أدخلت آنفاً على ابن أبي جعفر - يعني المهدي - فقال لي : يا أبا عبد الله طلبناك فأعجزتنا ، فأمكننا الله منك في أحب المواضع إليه ، فارفع إلينا حوائجك . قال : فقلت : وأي حاجة تكون لي إليك ؟! وأولاد المهاجرين وأولاد الأنصار يموتون خلف بابك جوعاً !!

فقال لي أبو عبيد الله - وزير المهدي - : يا أبا عبد الله

(١) انظر مقدمة تفسير الثوري ص ٢٤ .

(٢) الطبري (ج ٣/ ٣٨٥) . انظر مقدمة تفسير الثوري ص ٢٥ .

لاتكثر الفضول ، واطلب حوائجك من أمير المؤمنين ، فقلت :
مالي إليه من حاجة ، لقد أخبرني إسماعيل بن أبي
خالد : أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه حج ، فقال لصاحب
نفقته : كم أنفقنا في حجنا هذا ؟ قال :

اثنا عشر ديناراً ، قال : أكثرنا ، أكثرنا ، أسرفنا
أسرفنا ... وعلى أبوابكم أمور لاتقوم لها الجبال الراسيات ...
قال : فقال لي ابن أبي جعفر : يا أبا عبد الله : أفرأيت إن
لم أقدر أن أوصل إلى كل ذي حق حقه ، فما أصنع ؟
قال : تفر بدينك ، وتلزم بيتك ، وتترك الأمر
ومن يقدر أن يوصل إلى كل ذي حق حقه ...

قال : فسكت ، وقال لي أبو عبيد الله : أراك تكثر
الفضول ، إن كانت لك حاجة فاطلبها ، وإلا فانصرف ،
قال : فانصرفت ، (١) .

ودخل سفينان مرة على أبي جعفر : فقال له ما حاجتك ؟
قال : « حاجتي أن لاتدعوني حتى آتيك » ، (٢) .

وقال له وزير المهدي مرة : شططت : تكلم أمير

(١) المقدمة ص ١١٠ .

(٢) » ص ١١٢ .

المؤمنين بمثل هذا ؟ فقال له سفيان :
 اسكت ، ماأهلك فرعون إلا هامان . فلما ولى
 سفيان ، قال أبو عبيد الله : ياأمير المؤمنين : ائذن لي
 أضرب عنقه ، فقال له :
 اسكت ، مايتي على وجه الأرض من يستحيا منه
 غير هذا ... (١) .

وحدث عطاء بن مسلم قال :
 لما استخلف المهدي : بعث إلى سفيان ، فلما دخل ،
 خاع المهدي خاتمه ، فرمى به إليه فقال :
 ياأبا عبد الله ، هذا خاتمي ، فاعمل في هذه الأمة
 بالكتاب والسنة ، فأخذ الخاتم بيده وقال :
 تأذن في الكلام يا أمير المؤمنين ؟ قال : نعم ، قال :
 أنكلم على أني آمن ؟ قال : نعم ، قال : لا تبعث إلي حتى
 آتيك ، ولا تعطني شيئاً حتى أسألك .
 قال : فغضب من ذلك ، وسمَّ به ، فقال له كاتبه
 أليس قد أمتته يا أمير المؤمنين ؟! قال : بلى .
 فلما خرج حَفَّ به أصحابه فقالوا :

مامنك يا أبا عبد الله ، وقد أمرك أن تعمل في
 هذه الأمة بالكتاب والسنة !؟ قال :
 فاستصغر عقولهم ، ثم خرج هارباً إلى البصرة^(١)...
 إلى غير ذلك من مواقف سفيان الكريمة الجريئة ،
 التي تمثل لنا شخصية سفيان القوية التي لاتهاب إلا الله ،
 والناطقة بكلمة الحق أمام السلطان ، والبصيرة بأساليب
 الحكم وغاياتهم ...

تفنيه خطأ تاريخي :

تروي بعض الكتب عن سفيان الثوري موقفاً أو
 رسالة بينه وبين أمير المؤمنين الخليفة - هارون الرشيد -
 ومن هذه الكتب : كتاب الإحياء للامام الغزالي
 وهو يبحث عن السلاطين وأمر السلف لهم بالمعروف ونهيهم
 عن المنكر^(٢) ...
 وكتاب الحلية لأبي نعيم ، ذكر فيه موقفاً لسفيان
 يحكم فيه بين هارون الرشيد وزوجته^(٣) ...

(١) الحلية (ج ٤٠/٧) .

(٢) الإحياء (ج ٣٠٩/٢) .

(٣) الحلية (ج ٣٧٨/٦) .

والغريب في هذا : أن سفيان الثوري - رحمه الله - لم يعاصر حكم هارون الرشيد ، بل توفي سفيان قبل تولية الرشيد الحكم بتسع سنوات .

إذ مر معنا أن وفاة سفيان كانت سنة ١٦١ / هـ ، وإذا رجعنا إلى تاريخ تولي الرشيد للخلافة نجده سنة ١٧٠ / هـ (١) .

فكيف تم هذا اللقاء بينها ؟
إنه مما لاشك فيه : أن هذا خطأ وتصحيف ، وأعل
مرجهه إلى أحد أمرين :

١ - إما أن يكون التصحيف والتحريف جار على اسم سفيان ، والقصة جارية مع غير سفيان من العلماء الذين عاصروا الرشيد ، ولا يبعد ذلك عنهم ، لتوافر العلماء العاملين الناحيين للحكام في ذاك العصر ...

٢ - وإما أن يكون الخطأ والتحريف جار على اسم هارون الرشيد - والقصة جارية مع غيره من الخلفاء كأي جعفر والمهدي ، ونسبت إلى الرشيد خطأ ، ولا يبعد ذلك أيضاً ...

(٣) انظر رسالة فاكهة الأنام في تاريخ خلفاء العرب والاسلام للورا قـ.

ولا أجد احتمالاً لثبوتها عن سفيان عن سفيان مع
هارون الرشيد ، والله أعلم .

. . .

وعظ سفيان وتوصياته للناس :

كان سفيان الثوري رحمه الله رجلاً نصوحاً ، يتفقد
الناس من حوله بالنصح ، ويتخولهم بالمواعظ ...

فلم يكن نصحه مقصوراً على الحكام والولاة ، وإنما
كان لأئمة المسلمين وعامتهم ...

روى ابن أبي حاتم بسنده عن مصعب^(١) :
« أن رجلاً أعمى كان يجالس سفيان ، فكان إذا
كان شهر رمضان ، خرج إلى السواد فيصلي بالناس ، فيكسى
ويوهب له ، فقال سفيان :
إذا كان يوم القيامة ، أثيب أهل القرآن من قرآنهم
ويقال مثل هذا : قد تمجلت ثوابك ...

فقال له الرجل : يا أبا عبد الله ، تقول هذا لي
وأنا جليس لك ؟! قال سفيان :

(١) التقدمة ص ٩٩ .

إني أتخوف أن يقال لي يوم القيامة : إنه كان جليساً لك ، أفلا تنصحه ؟!

وقال عبد الرزاق :

« كان رجل صحب الثوري - يقال له يوسف - إلى صنعاء ، فلم يشمر إذ جاءتة الولاية من أبي جعفر ، فقال له الثوري :

ويحك يا يوسف : شحطوك بغير سكين ، كيف إذا قيل يوم القيامة : أين أبو جعفر وأتباعه ، قمت فيهم (١) ؟
وكتب رجل من إخوان سفيان إلى سفيان : أن عظمي فأوجز ، فكتب إليه :

« عافانا الله وإياك من السوء كله ، يا أخي : إن الدنيا غمها لا يفي ، وفرحها لا يدوم ، وفكرها لا يتقضي ، فاعمل لنفسك حتى تنجو ، ولا تتوان فتمطب ، والسلام » (٢).

وقال وكيع : خرجنا مع الثوري في يوم عيد فقال :
« إن أول ما نبدأ به في يومنا هذا غرض البصر » (٣).

(١) المقدمة ص ١١٤ .

(٢) الحلية (ج ٢٥/٧) .

(٣) « (ج ٢٣/٧) .

وكان يوصي ابن المبارك ويقول له : إياك والشهرة ،^(١)

وكان لسفيان رسائل طويلة نافعة في الوعظ ، جمع فيها كثيراً من العظات والوصايا الثمينة ... سأقتصر على سرد إحداها بنصها ، كما رواها ابن أبي حاتم في تقييده^(٢) ، وهي رسالة الثوري إلى عباد بن عباد :

« من سفیان بن سعید إلى عباد بن عباد ، سلام عليك ، فاني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد : فاني أوصيك بتقوى الله ، فإن اتقيت الله عز وجل كفأك الناس ، وإن اتقيت الناس لم يغنوا عنك من الله شيئاً .

سألت أن أكتب إليك كتاباً أصف لك خلاصاً تصحب بها أهل زمانك ، وتؤدي إليهم ما يحق لهم عليك ، وتسأل الله عز وجل الذي لك ... وقد سألت عن أمر جسيم ، الناظرون فيه اليوم ، المقيمون به قليل ، بل لا أعلم مكان أحد ، وكيف استطاع ذلك ! وقد كدر هذا الزمان ، إنه ليشتبه الحق والباطل ، ولا ينجو من شره إلا من دعا بعناء الفريق ، فهل تعلم مكان أحد هكذا ؟ !

(١) الحلية (ج ٧ / ٢٣) .

(٣) المقدمة ص ٨٦ وما بعدها ...

وكان يقال : يوشك أن يأتي على الناس زمان لا تهر فيه عين حكيم ، فعليك بتقوى الله عز وجل ، والزم العزلة واشتغل بنفسك ، واستأنس بكتاب الله عز وجل ، واحذر الأمراء ، وعليك بالفقراء والمساكين والفقراء منهم ، فإن استطعت أن تأمر بخير في رفق ، فإن قبل منك حمدت الله عز وجل ، وإن رد عليك أقبلت على نفسك ، فإن لك فيها شغلاً .

واحذر المنزلة وجبها ، فإن الزهد فيها أشد من الزهد في الدنيا ، وبلغني أن أصحاب محمد ﷺ كانوا يتعبدون أن يدركوا هذا الزمان ، وكان لهم من العلم ما ليس لنا ، فكيف بنا نحن أدركنا على قلة علم وبصر ، وقلة صبر ، وقلة أعوان على الخير ، مع كدر الزمان وفساد من الناس .

وعليك بالأمر الأول والتمسك به ، وعليك بالتحول^(١) فإن هذا زمان خمول ، وعليك بالعزلة وقلة مخالطة الناس .

(١) معنى قوله : وعليك بالتحول : أي الزم التواضع ، ولا تحرص على الظهور وحب الرياسة ، وقد مر معنا في تواضعه أنه كان يقول :

« لولا أن أستذل لسكنت بين أقوام لا يعرفوني » .

فان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال :
 إياكم والطمع ، فان الطمع فقر ، واليأس غنى (١) ،
 وفي العزلة راحة من خلاط السوء .

وكان سعيد بن المسيب يقول : العزلة عبادة .

وكان الناس إذا اتقوا اتفّع بعضهم ببعض ، فأما
 اليوم فقد ذهب ذلك والنجاة في تركهم فيما نرى (٢) .

(١) المراد باليأس هنا : القناعة ، ويظهر هذا من مقابلته بالطمع ...

(٢) لقد تكرر في وصيته هذه : حرصه على العزلة ، وترغيبه بها ،

ولعل المراد بها هنا : قلة مخالطة الناس وخاصة الولاة والأمراء

والأغنياء الذين يفسدون على المسلم دينه ، ويدل لذلك قوله بعد

ذلك : « وعليك بالفقراء والمساكين والدنو منهم » وقوله

أيضاً فيها : « وعليك بالعزلة وقلة مخالطة الناس » واستشهاده

بقول عمر رضي الله عنه : وفي العزلة راحة من خلاط السوء ...

وهذا المنهج - العزلة - معروف مألوف عند بعض السلف

لنفس المنكرات ، وإعراض الناس عن الدين ، وإن كان الأفضل

منه بلا شك : الاختلاط مع الناس لمن قدر على الأمر بالمعروف

والنهي عن المنكر ، وقع نفسه عن الإيذاء ، وصبر على الأذى ،

كما بوب لهذا الامام النووي في رياض الصالحين ، ثم قال :

« اعلم أن الاختلاط بالناس على الوجه الذي ذكرته - أي

في العنوان - هو المختار الذي كان عليه رسول الله =

وإياك والأمرء والبنو منهم ، وأن تخالطهم في شيء
من الأشياء .

وإياك أن تخدع فيقال لك : تشفع قترد عن مظلوم
أو مظلمة ، فإن تلك خدعة إبليس ، وإنما اتخذها بخار
القراء سلباً ...

وكان يقال : اتقوا فتنة العابد الجاهل ، وفتنة العالم
الفاجر ، فإن فتنتها فتنة لكل مفتون .

وما كفت المسألة والفتيا ، فاغتنم ذلك ولا تنافسهم ،
وإياك وحب الرياسة ، فإن من الناس من تكون الرياسة
أحب إليه من الذهب والفضة ، وهو باب غامض لا يبصره

= صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم
وكذلك الخلفاء الراشدون ومن بعدهم من الصحابة والتابعين ،
ومن بعدهم من علماء المسلمين وأخبارهم ، وهو مذهب أكثر
التابعين ومن بعدهم ...

وبه قال الشافعي وأحد وأكثر الفقهاء رضي الله عنهم أجمعين ،
قال الله تعالى : « وتعاونوا على البر والتقوى » . والآيات
في معنى ما ذكرته كثيرة معلومة .. « .
انظر ذلك في رياض الصالحين : باب : فضل باب الاختلاط
بالناس ... الخ .. » .

إلا البصير من العلماء السامرة ، واحذر الرياء ، فان الرياء
أخفى من ديب النمل .

وقال حذيفة :

« سيأتي على الناس زمان يعرض على الرجل الخير
والشر فلا يدري أيما يركب ؟ » .

وقد ذكر عن رسول الله ﷺ قال : لا تزال يد الله
عز وجل على هذه الأمة ، وفي كنفه وفي جواره وجناحه
مالم يمل قراؤم إلى أمرائهم ، ومالم ير خيارهم أشرارهم ،
ومالم يعظم أبرارهم جثائرهم ، فاذا فعلوا ذلك رفعها عنهم ،
وقذف في قلوبهم الرعب ، وأنزل بهم الفاقة ، وسلط عليهم
جبارتهم ، فساموم سوء العذاب ...

وقال :

إذا كان ذلك : لا يأتيتهم أمر يضجون منه إلا أردفه
بآخر يشغلهم عن ذلك ... » .
فليكن الموت من شأنك وبالك ، وأقل الأمل ،
وأكثر ذكر الموت ، فانك إن أكثر ذكر الموت هان عليك
أمر دنياك .

وقال عمر : أكثروا ذكر الموت ، فانكم إذا ذكرتموه

في كثير قلَّله ، وإن ذكرته في قليل كثره ، واعلموا أنه
قد حان للرجل يشتهي الموت .

أعاذنا الله وإياك من المهالك ، وسلك بنا وبك سبيل
الطاعة .

. . .

ومن وصاياه المتفرقة :

« يأخى عليك بالكسب الطيب ، وما تكسب بيديك ،
وإياك وأوساخ الناس أن تأكله أو تلبسه ، فإن الذي يأكل
أوساخ الناس مثله مثل عليه لرجل وسفله ليس له ، فهو
لا يزال على خوف أن يقع سفك وتهدم عليته .

فالذي يأكل أوساخ الناس ، هو يتكلم بهوى ،
ويتواضع للناس مخافة أن يمسكوا عنه .

يأخى : إن تناولت من الناس شيئاً قطعت لسانك .
يأخى : جوعٌ وقليل من العبادة ، خير من أن
تشبع من أوساخ الناس وكثير من العبادة ...
أخي : إياك أن تكسب خبيثاً فتنفقه في طاعة الله ،

فإن تركه فريضة من الله واجبة ، وإنه طيب لا يقبل إلا طيباً .

أرأيت رجلاً أصاب ثوبه بول ، ثم أراد أن يطهره ، ففسله ببول ؟ أترى كان ذلك يطهره ؟!

إن القدر لا يطهر إلا بطيب ، فكذلك لا تُمنح السيئة إلا بالحسنة ، وإن الله طيب لا يقبل إلا الطيب ، وإن الحرام لا يقبل في شيء من الأعمال .

أو هل عمل أحدٌ ذنباً فحماه بذنب^(١) ؟!

ومن وصاياه « أكرموا الناس على قدر تقوam ، وتذللوا عند أهل الطاعة ، وتمرزوا عند أهل المعصية ، واعلموا أن القراءة لا تحلو إلا بالزهد في الدنيا^(٢) » .
إلى غير ذلك من مواضع كريمة ، ووصايا جليلة متفرقة في تراجمه ...

. . .

كرمه :

ومن أخلاق سفيان مع الناس أنه كان سخياً جواداً ،

(١) هذه مقتطفات من وصية طويلة أخرى لسفيان أوصى بها علي

ابن الحسن ، ذكرها أبو نعيم بطولها في الحلية (ج ٧/ ٧١-٧٢) .

(٢) المقدمة ص ٩٠ .

ينفق عليهم ، ولا يأخذ منهم ... حتى كان ذلك يؤثر على نفوس بعض أصحابه .

فلقد روى أبو نعيم بسنده عن الفريابي ، قال :
 « صحبت سفیان من عسقلان إلى المدينة ، فكان
 يخرج النفقة ونخرج معه جميعاً ، فيدفعها إلى رجل لينفق علينا ،
 فكنا إذا وضعنا سفرتنا ، لم يرد أحداً من السؤال .
 إلا أعطاه ، حتى لا يبقى شيء ، فكان بعضنا إذا رآه يصنع
 ذلك ، يأخذ خبزه ويتنحى فيأكل^(١) ، .

إلى غير ذلك من أخلاق كريمة ، يقف عليها المتبع
 لأقوال سفیان وأحواله ، والمتبصر في سيرته وأقواله ...
 ولعل هذه الأخلاق الكريمة التي تحلى بها سفیان ،
 إضافة إلى علمه وحفظه جعلته إماماً مقتدىً به في عمله
 وأخلاقه ، وأنزلته تلك المنزلة الرفيعة في قلوب العلماء العاملين...
 وحسبنا في هذا قول الامام أحمد رحمه الله في سفیان :
 « لم يتقدمه في قلبي أحد ، .

(١) الحلية (ج ٧ / ٢٥) .

الْحَثَاتَةُ

هذا هو سفيان الثوري - رضي الله تعالى عنه -
في طرف من أخباره وأقواله ، وفي جوانب من حياته العلمية
والعملية ... أرجو أن يجد القارئ الكريم فيها أنموذجاً
صافياً للشخصية المسلمة في حياة السلف الصالح ...

تلك الشخصية التي لا تعرف الإفراط ولا التفريط ،
فلا يشغلها علم عن عمل ، ولا عمل عن علم ، ولا يطنى فيها
جانب على حساب جانب ...

ولعل أبرز ما تنقف عليه في هذه الرسالة ذلك التوازن
والتكامل في هذه الشخصية العظيمة ... فنجد سفيان الثوري
ملماً بالعلوم المختلفة المتنوعة ، مطبقاً لعلمه ، يزينه الوعي العظيم ،
والخلق الكريم ...

ولكم شهدت أمتنا اختلافاً في ذلك التوازن المطلوب ،
فرأينا العلماء الذين يعتنون بعلم دون آخر ، فيعرف هذا
بعلم وآخر بغيره ، وكلما يجتمع علما ن أو أكثر في رجل واحد ...
كما رأينا أيضاً العلماء الذين انفصل عنهم عن عملهم ،

وافتقرنا إلى العالم العامل ، الواعي الخلق ...

وما كان لعلم من العلوم ، أو جانب من الجوانب
أن يوصل صاحبه إلى تلك الدرجة العالية ، فيرفعه إلى
إلى صفوف العلماء الأعلام ، وبلحه بركب الأئمة المجتهدين ،
مهما كان توسع هذا العالم في علمه كبيراً ... إذ لا يفتني علم
عن علم ، ولا جانب عن جانب ...

فما وصل سفيران الثوري وأمثال سفيران من الأئمة
الأعلام إلى ماوصلوا إليه من منزلة رفيعة في قلوب الخاصة
والعامة إلا بعلومهم النافعة المتكاملة ، ووعيمهم الكبير ، وأخلاقهم
العظيمة ...

ولقد مر معنا قول الامام الأوزاعي وهو يتحدث
عن سفيران :

« لم يبق من تجتمع الأمة عليه بالرضا إلا سفيران » .
وما أعظم قول أبي جعفر المنصور حيناً يعرض عليه
وزيره قَتَلَ سفيران الثوري لما رآه من جرأته في الحق ،
ومجاهته لأمر المؤمنين ، فيجيبه أبو جعفر :
« اسكت ، ما بقي على وجه الأرض من يستحيا منه
غير هذا » .

فهل حصل سفيان على هذه المكانة في نفس أبي جعفر ،
وهو الذي وقف معه تلك المواقف الجريئة بأمره وبنهاه إلا
بأخلاقه وصدقه ، وجراته في الحق ..؟

فلتكن حياة هؤلاء الأعلام أنموذجاً حياً لأهل العلم
وطلابه ، وقدوة صالحة لمن يحب الكمال ويسعى إليه ...

وإذا نظرنا إلى سفيان الثوري من جانب وعيه وخلقه
ف نجد ذلك بارزاً في ثنايا أقواله وسلوكه العلمي والعملية ...

فهو العالم المجمع على علمه وفضله ، ولكنه لم يصل به
ذلك الاجماع الصادق إلى درجة الفرور بنفسه ، مما يجعله
يزهد بنفسه ، ويتعالى على أقرانه وينكر على مخالفيه في
الاجتهاد - كما نجد ذلك في كثير من المنتسبين إلى العلوم
اليوم - ...

ولمّا كان يتواضع لهم ، ويحترم آراءهم ، ويربي
تلاميذه على ذلك الاحترام والتقدير للآراء العلمية المختلفة ،
وحسبنا في بيان هذا مقالته الرائعة :

« إذا رأيت الرجل يعمل العمل الذي قد اختلف
فيه ، وأنت ترى غيره ، فلا تنه ، .

فقد رَسَخَ بذلك القاعدةَ الجليّةَ التي كاد أن يجمع عليها العلماء ، والتي وقفت حائلاً في تاريخ فقهاء الاسلامي أمام المنازعات والشقاق ...

ولقد زلت أقدام عدد من العلماء قديماً وحديثاً عندما فقدوا هذا الجانب من الوعي ، فضاعت عقولهم ، وقصرت أفهامهم عن تصور تلك الاختلافات العلمية فجعلوها سبباً للاختلافات العملية ، وحولوا النعمة إلى نقمة ...

كما أن سفيان الثوري - العالم المتواضع لغيره ، والمحترم لآراء مخالفه - لم يصل به تواضعه الصادق إلى درجة الذل والهوان ، فيذل نفسه ، ويفقده الثقة بعلومه ليستسلم لآراء غيره ، فلقد كان تواضعه في عزة ، كما كانت جراته في ثقة...

فهو القائل لما كثر الناس من حوله ، وعظم عدد الوافدين إليه لتلقي العلم عنه ، تلك الكلمة الرائعة الدالة على تواضعه العظيم :

« ضاعت الأمة حين احتيج إليّ » .

وهو القائل أيضاً في عزة وثقة :

« لو لم يأتي أصحاب الحديث لأنتبهم في بيوتهم » .

والقائل : « سلوني عن المناسك والقرآن فاني بها عالم » .

وهو الذي يقول عنه شعبة أحد أعلام الحديث :

« إذا خالفتي سفيان في الحديث ، فالحديث حديثه ،
وكان إذا حفظ الشيء لم يبال من خالفه » .

ولطالما ضاع العلم بين عالم استصغر نفسه ، وفقد الثقة
بعلمه فازوى على نفسه ، وبين عالم ابتلي بالفرور ، ورفض
نفسه فوق مرتبته ، فأعرض الناس عنه ، وزهدوا بعلمه !!!

وما أكثر الجوانب العظيمة التي تتجلى للقارىء ،
ويقف عليها الباحث أثناء دراسته لحياة سفيان العلمية والعملية !!!

ومما تجدر الإشارة إليه : أننا حين نبرز جوانب
العظمة في حياة سفيان ، ونشيد بعلمه وأخلاقه ، لانفي
أبداً أن سفيان الثوري وأمثاله من الأئمة الأعلام وصلوا
إلى درجة العصمة ، وتربعوا على كرسي الكمال ، إذ لم يدع
أحدهم ذلك لنفسه ، ولا يرضى نسبته إليه ...

فهم البشر المجتهدون ، المرعّضون للخطأ والصواب في
اجتهاداتهم سواء منها الاجتهادات العلمية والعملية ، وحسبهم
أنهم لا يعدمون في ذلك كله الأجر عند الله عز وجل ..

فما من معصوم بحق إلا الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ، وما من كمال إلا في شخصية رسول الله ﷺ الذي ارتضاه الله للمؤمنين أسوة ، ولم يرتض لهم غيره فقال: « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ... » .

ولكنه مما لاشك فيه أنهم أقرب إلى الكمال من غيرهم ، وأحرص عاينه في حياتهم ، كما يظهر ذلك في سيرتهم التي غلب عليها اهتمامهم بإحكام الأسوة بالرسول الكريم ﷺ ... فكانوا بذلك قدوة حسنة لغيرهم ، وهداة لأمتهم ينبرون لهم الطريق .

ولو أردنا تتبع أقوال سفيان ، واستقصاء أخباره وأحواله ، لطال علينا الأمر ...

وفيا سبق كفاية لمن أحب التعرف على سيرته ، وحرص على التأسي بطريقته ...

وما هذا الكتاب إلا مفتاح لذلك المجال الواسع أمام الباحثين وخطوة أولى أو خطوات في هذا الطريق النافع الهادي لمن أحب أن يتابع الطريق ، فيكشف لنا عن هذه

الكنوز الثمينة ، والدرر الدفينة في طيات الكتب المخطوطة
والمطبوعة ...

وفي هذا المعنى يقول الامام أبو نعيم رحمه الله في
حليته بعد أن توسع في ترجمة سفيان الثوري :

« كلامُ الثوري وأحواله ، وألفاظه ومواعظه ،
تكثر وتتسع ، وفي دون مذكرنا فوائد لمن رزق العمل به ،
ووفق له ... » .

وقفنا الله جميعاً للسداد والرشاد ورزقنا الاتباع الكامل
لارسل الكريم ﷺ ، لنلحق بركب سلفنا الصالح ...
« أولئك الذين هدى الله ، فبهдам اقتده ... » .



مُلاحَظَات

في بيان أماكمه تراجم الثوري وأقواله^(١)

إن أقوال سفيان الثوري وأخباره موزعة متناثرة في كتب التراجم وغيرها من كتب الفقه والحديث ...

ولعل أبرز من ترجم له من يلي :

- ابن سعد في الطبقات (ج ٦ / ٢٥٧ - ٢٦٠) .
- البخاري في التاريخ الكبير (ج ٢ / ٩٣ - ٩٤) .
- والصغير (١٨٦ و ١٨٧ و ٢١٦) .
- ومسلم في المنفردات / ٣٢ .
- وابن قتيبة في المعارف (٢١٧ ، ٢٦٨) .
- وابن رسته في الأعلام النفيسة / ٢١٩ .
- والذولابي في الكنى (ج ٢ / ٥٦) .

(١) أخذ هذا الملحق من مقدمة تفسير الثوري للأستاذ امتياز علي عرشي ص ٣٩ ، تسميةً لنفسه ، وتسهيلاً على الباحث في الرجوع إلى أماكن الترجمة ، وسألحه بمراجعي الخاصة في هذه الترجمة ...

- والطبري في الذيل المذيل /١٠٥/ .
- وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (ج٢/١: ٢٢٢-٣٢٥)
- وقدمة المعرفة (٥٥ - ١٢٦) .
- وابن النديم في الفهرست (٣١٤) .
- والحاكم في المعرفة (١٠٦، ١٦٥، ١٧٤، ٢٠٤، ٢٤٥) .
- والأزدي في المشتبه /١١/ .
- والسلمي في الطبقات (١١٤ و ١٣١) .
- وأبو نعيم في الحلية (ج٦/٣٥٦-٣٩٣) و(ج٧/٣-١٤٤) .
- وابن حزم في الجمهرة /٦٣/ ب .
- والخطيب في تاريخ بندان (ج٩/١٥١ - ١٧٤) .
- وابن ماكولا في الأكمال (ج ١/٥٦٨) .
- وابن طاهر المقدسي في الجمع بين رجال الصحيحين .
- (ج١/١٩٤) . والأنساب (٢٧ و ١٧٩) .
- والشهرستاني في الملل /٦٥/ .
- والسمعاني في الأنساب /١١٧/ ألف ، وأدب الاملاء
- /٦/ وغيرها ...
- وابن الجوزي في صفوة الصفوة (ج ٣/٨٢ - ٨٤)
- والتلقيح (٢٣٥) .
- وابن الأثير (المحدث) في جامع الأصول (ج٢/٨٢٢ ألف) .

- وابن الأثير (المؤرخ) في الكامل (ج ٢٠/٦) .
- والقفطي في تاريخ الحكماء (٣٢٧) .
- والنووي في تهذيب الأسماء (٢٨٦ - ٢٨٨) .
- وابن خلكان في الوفيات (ج ٢٩٦/١) .
- وأبو الفداء في المختصر (ج ٩/٢) .
- والتبريزي في الرجال / ٢٣ / ب .
- والذهبي في التذكرة (ج ١٩٠/١ - ١٩٣) .
- والكاشف / ٣٦ / ألف ، والدول (ج ٧٨/١) .
- والياقي في مرآة الجنان (ج ٣٤٥/١ - ٣٤٧) .
- وابن كثير في البداية (ج ١٣٤/١٠) .
- وشمس الدين الحسيني في مختصر جمع الأجاب ص ٢٧٩
- ألف إلى ص ٢٨٧ ألف .
- والقرشي في الجواهر المضيئة (ج ٢٥٠/١) .
- والقلقشندي في نهاية الأرب / ٢٠١ / .
- والجزري في الناية (ج ٣٠٨/١) .
- وابن العجمي في نهاية السؤل / ١٢١ / ب .
- والمسقلاني في التهذيب (١١١/٤ - ١١٥) ، والتقريب
- / ١٥١ / والمدلسين / ١٠ / .
- والمني في المممة (ج ٢٦٠/١) .

- والسيوطي في التلخيص /٤٥/ .
- والخزرجي في الخلاصة /١٤٥/ .
- والشعراني في اللوائح (ج ١/٥٢ - ٥٦) .
- والفتي في الرجال /٨١/ ألف ، و ب .
- والكفوي في أعلام الأخيار /٦٥/ ب إلى /٦٦/ ب .
- والدهلوي في الاكمال /١١٦/ ب و /١١٧/ ألف .
- والناوي في الكواكب /١٠٤/ ألف إلى /١٠٥/ ب .
- وابن العماد في الشذرات (ج ١/٢٥٠) .
- والزركلي في الأعلام (ج ٣/١٥٨) .

وقد ذكره من علماء الشيعة :

- الكشي في معرفة أخبار الرجال /٢٤٨/ .
- والطوسي في الرجال /١١٠/ ب .
- والجلي في الخلاصة /١٠٩/ .
- والامست آبادي في منهج المقال /١٥٤/ ألف .
- واللاهي في خير الرجال /٦٠/ ألف إلى /٦١/ ألف .

والكربلائي في منتهى المقال /١٤٨/ . (١ . هـ) .
 إلى غير ذلك من أماكن مختلفة وكتب متنوعة ،
 إضافة إلى المصادر التي سأذكرها بعد هذا ...

والحمد لله رب العالمين

انتهى من كتابته في الرياض
 محمد عبد الله أبو الفتح البيانوني
 يوم الأربعاء /١٩/ من ذي القعدة ١٣٩١ هـ

- - -

المراجع

- إبراز الوم المكنون لأحد الصديق الفاري مطبعة القدسي بدمشق .
 إحياء علوم الدين للفرالي مطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٣٤٦ هـ .
 الأعلام للزركلي المطبعة العاصرية ١٣٥٣ هـ بتحقيق الفقي .
 الأموال بداية المجتهد لابن رشد نصر مكتبة الكليات الأزهرية ١٣٨٦ هـ .
 تاريخ الإسلام السياسي لحسن إبراهيم حسن طبع مكتبة النهضة المصرية .
 تاريخ بغداد للخطيب البغدادي مطبعة السعادة بمصر ١٣٤٩ هـ .
 التحفة لعلاء الدين السمرقندي دار الفكر بدمشق .
 التدريب للسيوطي بتحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف الطبعة الأولى ١٣٧٨ هـ نصر المكتبة العلمية بالمدينة المنورة .
 تفسير الثوري بتحقيق ونشر الأستاذ امتياز علي عرشي مدير مكتبة رضا ، رامبور ، الهند ١٣٨٥ هـ .
 التقريب لابن حجر بتحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف نصر المكتبة العلمية بالمدينة المنورة ، الطبعة الأولى ١٣٨٠ هـ .
 التنقيح لابن الوزير الهنائي بتحقيق محي الدين عبد الحميد الطبعة الأولى ١٣٦٦ هـ مطبعة السعادة .
 تهذيب الأسماء واللغات للنووي طبع المطبعة النيرية .
 توضيح الأفكار للصنعاني مطبعة السعادة ١٣٦٦ هـ .
 الجرح والتعديل لابن أبي حاتم طبع دائرة المعارف النعمانية ١٣٧١ هـ .

- جمع الفوائد
 الحلية
 الرسالة القشيرية
 رياض الصالحين
 سبل السلام
 سفیان الثوري
 شترات الذهب
 الطبقات
 طبقات علماء إفريقية وعلماء تونس لأبي العرب التميمي طبع الدار التونسية ١٩٦٠م
 تحقيق علي الشاذلي ونعيم اليافي .
 فاكهة الأنام في تاريخ خلفاء العرب والاسلام لاوراق .
 الفرق بين الفرق
 الفكر السامي
 القهرست
 فيض الباري
 فيض القدير
 القاموس المحيط
 الكواكب الدرية
 السروج
 مشكل الآثار
 لمحمد بن سليمان ، مع ذيله أعذب الوارد .
 لأبي نعيم نشر دار الكتاب العربي ١٣٥٧ هـ .
 للقشيري نشر مكتبة محمد علي صبيح وأولاده ١٣٦٧ هـ .
 للنووي طبع عبد الرحمن محمد ١٣٥١ هـ .
 للصنعاني مطبعة الشهيد الحسيني بالقاهرة .
 للدكتور عبد الحليم محمود نشر دار البيان
 في الكويت عام ١٣٩٠ هـ .
 لابن النجاد مطبعة القدسي بمصر ١٣٥٠ هـ .
 لابن سعد طبع دار صادر في بيروت ١٣٨٠ هـ .
 للنووي طبع مصطفى محمد ١٣٥٦ هـ .
 للقيروزي لبادي " " " ١٣٧٣ هـ .
 للمناوي نشر جمعية النشر والتأليف الأزهرية ١٣٥٧ هـ .
 للمسمودي طبع المكتبة التجارية الكبرى ١٣٦٧ هـ .
 للطحاوي .

مقدمة ابن خلدون لابن خلدون طبع المطبعة البية المصرية .
الميزان للذهبي طبع عيسى البابي الحلبي ١٣٨٢ هـ .

النافع الكبير لمن يطالع الجامع الصغير للكتوي .
النجوم الزاهرة لابن تقي بردي نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب .
نيل الأوطار للشوكاني طبع مصطفى البابي الحلبي . الطبعة الأخيرة .
الورع لأحمد بن حنبل طبع محي الدين الكردي ١٣٤٠ هـ .
وفيات الأعيان لابن خلكان طبع مكتبة النهضة المصرية ١٣٦٧ هـ .

- - -

المحتوى

ص	ص
٣٣	مخطط الرسالة ٣
٣٤	المقدمة ٥
٣٥	التمهيد ١١
٣٦	ضرورة نشر سيرة السلف ١١
٣٧	سبب اختياري سفيان الثوري ١٥
٣٩	الباب الأول ٢١
٤١	وهو في تاريخ حياته
٤١	الفصل الأول : عصره ٢٣
٤٢	السياسي والاجتماعي والعلمي
٤٧	عصره السياسي ٢٣
	الاجتماعي ٢٥
	العلمي ٢٨
	الفصل الثاني : نشأة سفيان ٣٢
	ولادته ٣٢
	مكانه ٣٣
	أسرته
	نسبه
	والده
	والدته
	إخوته
	زوجته
	عمه
	عقيدته
	رحله وتنقلاته
	الفصل الثالث : وفاة ٤٧
	سفيان الثوري
	رثاؤه وحزن الأئمة عليه ٤٨
	رؤاياه له في حياته وبمدموته ٥٠
٥٣	الباب الثاني
	وهو في حياة سفيان العلمية

ص	ص
٨٣	الفصل الأول : طلبه العلم ٥٥
٨٣	ونبوغه فيه وأساتذته وتلاميذه
٨٦	طلبه العلم ٥٥
وأدائه	٥٨ نبوغه العلمي
٨٩	٦١ أساتذته
٩١	٦٣ تلاميذه
٩٣	٦٤ الفصل الثاني : علومه
٩٥	٦٤ مقدمة عن علومه
٩٥	٦٦ العقيدة
٩٥	٦٩ موقفه من أهل البدع :
٩٦	١ - موقفه من المرجئة ٦٩
الأحكام	٢ - موقفه من القدرية ٧١
٩٩	٣ - موقفه من الشيعة ٧٢
١٠٤	٤ - البدع وأقواله فيها ٧٤
في الاستنباط	٧٦ التفسير
١٠٦ الأخلاق	١ - معرفته بالقرآن الكريم ٧٦
١٠٨ الحساب	وتفسيره
١١٠	٢ - طريقته في التفسير ٧٧
١١٤	٣ - آثاره في التفسير ٧٩

ص	
١٥٤	بره بأبيه وابنه
١٥٦	رأفته
١٥٧	جهاده
١٥٨	تأله من المنكر ونهيه عنه
١٦١	موقفه من الولاية
١٦٨	تنبيهه لخطأ تاريخي
١٧٠	وعظ سفيان وتوصياته للناس
١٧٧	ومن وصاياه المتفرقة
١٨٠	الخاتمة
١٨٧	ملحق: في بيان أماكن تراجم الثوري وأقواله
١٩٢	المراجع
١٩٥	المحتوى

ص	
١٢٥	الباب الثالث
	وهو في حياة سفيان العملية
١٢٧	الفصل الأول: حياة سفيان
	الخاصة
١٢٧	عمله بعلمه
١٣١	اهتمامه بالسنة
١٣٢	عبادته
١٣٧	زهده
١٤٢	قواضمه
١٤٤	ورعه ودقة محاسبته نفسه
١٤٨	خوفه من الله تعالى
١٥٠	صمته وتفكره
١٥١	طائفة من كراماته
١٥٤	الفصل الثاني: حياته العامة

صدر للمؤلف كتاب :

دراسات في الاختلافات الفقهية

تحت الطبع للمؤلف :

كتاب العبادة :

١٧٥

الناشر

دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع

القاهرة ص.ب : ١٦١ غورية . ت : ٩٣٥٦٤٤

حلب ص.ب : ١٨٩٣ . هـ : ١٧٧٦٤

بيروت ص.ب : ١٣٥٣٣٧

رقم الإيداع

QISAM Kütüphanesi



0073051